العديل بن الفرخ

الدكتور نوري جمودي القيسي
عميد كلية الآداب

حيـــاته وشـعره

في حياة العديل بن الفرخ اسمان يأخذان باكثر اخباره ، ويدوران في اهم حوادثه التي مر بها ، ويتصلان أحيانا للعلاقة التي تشد بينهما في بعض الروايات • وهذان الاسمان هما دابغ والحجاج •

ودابغ هذا كان عبدا لعمرو وهو ابن عم العديل ، تزوج بنت عم الشاعر بغير أمره فغضب هو واخوته ، ورصدوه ليضربوه ، فخرج عمرو ومعه هـــذا العبد ، فوثب العديل واخوته ، فاخذوا سيوفهم ، فانطلقوا حتى لقوا عمرا فلما رآهم ذعر منهم وناشدهم فأبوا ، فحمل عليه سوادة فضرب عمرا ضربة بالسيف، وضرب به عمرو فقطع رجله فقال سوادة :

ألا من يشترى رجـــلا برجـــل تأبى للقيـــام فلا تقـــوم

وقال عمرو لدابغ : اضرب وانت حر ، فحمل دابغ ، فقتل منهم رجـــلا وحمل عمرو فقتل آخر ، وقد اولاهم ، فقتلا منهم اربعة ، وضرب العديل عـلى رأسه ثم تفرقوا وهرب دابغ •

ولكن الامر لم ينته الى هذا الحد ، وانما يأخذ وضعا جديدا ، وتسـير الاحداث سيرة اخرى حتى تكتمل الصورة ، فيخرج العديل حاجا ، ويعلم ان دابغا هو الآخر قد خرج حاجا ، فيجعل العديل عليه الرصـــد ، ويقتفي اثره ، وينطلق يتبعه حتى يلحق به ، وفي غمرة استعانة يطلبها العديل ، يستجيب لهـا

دابغ يهوي الشاعر بالسيف على دابغ فيشفى له غليله ثم يركب راحلته فينجو ، ولكن مولى دابغ يستعدى على العديل الحجاج بن يوسف فيطالبه بالعدد ، فهرب العديل الى بلد الروم ويلجأ الى قيصر فيأمنه ، وفي هذه الصورة تتحول القضية مباشرة الى خصومة بين العديل والحجاج ، لان تصور الشاعر كان في غير محله وهو يحس بان الارض الواسعة ، والجبال الممتدة ، والصحارى المقفرة ستظل مانعا بينه وبين الحجاج ، وقد تجلت هذه الحقيقة في ابياته :

أخوف بالحجاج حتى كأنما ... يحرك عظم في الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من ان تنالني ... بساط لايدي الناعجات عريض
مهامه اشباه كأن سرابها ... ملاء بايدي الراحضات رحيض

ولكن هذه المشاعر التي تملكت الشاعر ، والامان الذى تصوره لم يكتب له الاستمرار لان الحجاج ابلغ بالشعر ، وكان صورة تحمل جوانب التحدي ، وقولا تتعالى فيه اصوات الانفلات من عقوبة القانون فكتب ـ كما تقول الروايات ـ الى قيصر ، كلمته المعروفة : لتبعثن به او لاغزينك جيشا يكون اوله عنده وآخره عندي[1] . ولابد لنا من التريث في تصديقه تصديقا كاملا ، او الايمان بقبوله قبولا مطلقا ، لانه ليس من السهل ان يتسرع الحجاج مثل هذا التسرع فيكتب هذا الكتاب ، ولم تكن القضية التي يغضب من اجلها قضية مصيرية حتى يأتي الرد على هذه الصورة .

أن الموضوع لابد ان يكون قد أصابه شيء من المبالغة ، وان القضيه قد وضعت في قالب آخر ، ولكن الغرض الذي يفسر هذه المبالغة لا يخرج عن الاطار الذي يريد أن يظهر قدرة الحجاج او بطشه او يربط بين ما يقال عنه أو يشاع عن جبروته ، وهي صورة ظلت كتب التاريخ والادب تدور في مجالها ، وقد أحيطت اخبار هذا الرجل بهالة من التخويف ، ولا يمكن معرفة المدى الدي ظلت فيه اخباره الحقيقية على حقيقتها ، ولعل الصورة التي يقدمها الشاعر لهذا

(١) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٣٠

الرجل تكشف كثيرا عن الجوانب التي اطمستها اقـوال الجانب الآخر ، التي اضيفت اليه • فهو شاعر عاش الغربة جراء مطاردة الحجاج له ، وظـل يعيش حياته طريد الهم ، وشريد التفرق • ومع هذا فأن الصورة التي يقدمها ـ وهي صورة تقترن بالخوف ـ توحي بما كان يتصف به من صفات ، وهي جانب يجب أن يأخذ بعده عند المؤرخين الذين يكتبون عن الرجل ، او يؤرخون الى فترته التي احاطت بها كثير من الاخبار التي تحتاج الى التمحيص والتدقيق ، وربمـا كان هذا الجانب هو التفسير الحقيقي للتناقض المذكور في اخبار الحجاج ، ولعل رجال التاريخ اقدر على تمييز ما وقع فيها وما لم يقع •

ان هذا التساؤل الذي ترك بصماته واضحة على حياته ، وجعل هذه الحياة ضربا من التشرد لا ينحصر في مسألة دابغ وديته ، لكن ابا الفرج يقدم لنا سببا آخر يجعله من اسباب هذا التشرد ، وهو ان العـديل بن الفرخ خرج يريـد الحجاج فلما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العديل وقال : انه لن يدخـل على الامير بعد رجالات قريش اكبر مني ، ولا أولى بهذا الباب ، فنازعـه الحاجب الكلام فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجاج الى يزيد بن المهلب ، فلمـا دخل عليه انشأ يقول[٢] :

لئن ارتـج الحجـاج بالبخل بابه ... اذا جعلت ايدي المـكارم تسـنح
فتى لا يبـالي الدهر ما قل مالـه ... واخرى عـلى الاعداء تسطو وتجرح
يداه يد بالعـرف تنهب ما حـوت

ان الحقيقة التي تبدو من خلال هذين النصين ان العديل قد هرب مـن الحجاج ، وقد تكون اسباب الهرب ما ذكره ابو الفرج او اسباب اخرى لم تحدد

فالجاحظ يروي خبرا عن ابي عبيدة يقول فيه : كـان بين الحجاج وبين العديل بن فرخ العجلي بعض الامر فتوعده الحجاج •• وعبارة بعض الامر كبيرة وتنطوي في محتواها مدلولات واسعة ولكنها توحي بان الامر له علاقة مباشـرة

---

(٢) الجاحظ • البيان والتبين ١/٣٦٧

بهما[٣] . ويؤكد هذه العلاقة ابن قتيبة في معرض حديثه عن العديل فيقول : وكان هجا الحجاج فطلبه ، فهرب الى قيصر ملك الروم[٤] .

ولكن الخبر الاكيد هو ان الشاعر هرب ، وان الحجاج لج في طلبه ، واعراض هذه الاحداث تتضح من خلال الحالة النفسية التي كان يعانيها الشاعر ، فالارض لفظته ، ونبا به كل مكان هرب اليه ، وبدأ حب الحياة يجد صورته في نفسه أحساسا بالالتصاق بها وتعلق باهدابها ، فعندما اتى بكر بن وائل وهم يومئذ بادون شكا اليهم امره وقال لهم : أنا مقتول ، افتسلمونني ، هكذا وانتم أعز العرب ؟

قالوا : لا والله .. فيقيم فيهم وتجتمع وجوه بكر بن وائل الى الحجاج ويجمعون على ان يقولوا انهم جنوا جناية لا يغفر مثلها[٥] .

ان هذا الاجماع الذي يذكره ابو الفرج ، او هذا الخبر الذي يرويه من ان وجوه بكر كلها تذهب الى الحجاج لتعترف له بالجناية ، وتطلب منه الحلم ، يمكن ان يقدم علامة اخرى من العلامات المضيئة التي تكشف عن الذنب الذي ارتكبه ، وهو حتما لم يكن قتل دابغا ، لان دابغا لا يشكل مثل هذه الخطورة التي تحمل وجوه بكر للاعتذار وتحملهم على ان يضعوا انفسهم موضع الاتهام وفاء لحق اللجوء او اكراما للشكوى التي اشتكاها العديل لهم بعد ان ضاقت به الارض ، ونبا به كل مكان .

وما بالنا نذهب هذه المذاهب في تحديد صرامة العقوبة ، واجوبة الحجاج في كل خبر تحدد لنا عظم الجناية ففي الاولى يذكره بيته القائل : ودون يد الحجاج من أن تنالني ...

فقال العديل : لم اقل هذا ايها الامير ولكني قلت[٦] :

---

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء / ٣٢٥
(٤) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/ ٣٣٠
(٥) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/ ٣٣١-٣٣٢
(٦) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/ ٣٣١

اذا ذكر الحجاج اضمرت حيفة لها بين احناء الضلوع نفير

فتبسم الحجاج ، وقال : اولى لك • وعفا عنه وفرض له •

وتذهب بعض الروايات الى ابعد من هذا في مطاردة الحجاج له ، فقد ذكر ابو الفرج : ان العديل قال لرجل من موالي الحجاج كان وجهه في جيش الى سي عجل يطلب العديل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق ابله ، واحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته واخذ حليهن[٧] •

ولعل الخبر الذي يأتي عرضا في حديث ابي الفرج عنه يكشف عن دافع آخر من دوافع مطالبة الحجاج له ، لان الابيات التي قالها العديل عندما قدم الحجاج العراق فسرها بانها تحريض اهل العراق عليه وعندما علم الشاعر بهذا التفسير ، وادرك الغرض الذى طواه في نفسه من وراء هذه الابيات فهرب ، فجد الحجاج في طلبه حتى ضاقت عليه الارض ، فأتى واسطا وتنكر واخذ رقعته بيده ودخل على الحجاج في اصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه انشأ يقول :

هأنذا ضاقت بي الارض كلها اليك وقد حولت كل مكان
فلو كنت في ثهلان أو شعبني أجا لخلتك الا ان تصد تراني

فقال له الحجاج : العديل انت ؟ قال : نعم ، أيها الامير ، فلوي قضيب خيزران كان في يده في عنقه ، وجعل يقول : ايه

بساط لايدي الناعجات عريض

فقال : لا بساط الا عفوك ، قال : اذهب حيث شئت

قد تكون الصورة البارزة في حياته نابعة من هذا المحور الذى اصح اطاره يضم مجموعة المشاعر الخائفة ، والاحاسيس القلقة وهو يتحرك متنكرا ، أو يتنقل مذعورا ، او يحتمي شاكيا ، حتى اصبحت طابعا متميزا لحياته ، وقيل انه كان لا يحل ببلدة الا ريع لاثر يراه من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ، فقد انصرف عن باب الحجاج الى يزيد بن المهلب[٨] مرة واتى بكر بن وائل فنسكا

---

(٧) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٣٦
(٨) ابو الفرج : الاغانى ٢٢/٣٣٠

اليهم امره ثانية[٩] ، ولجأ الى عفير بن جبير بن هلال ثالثة[١٠] ، واتى واسط وتنكر رابعة[١١] . وهو في كل مرة يذوق لوعة التشرد ، ويتجرع غصص المطاردة والغربة .

ان قصائده او مقطعاته الذى ذكر فيها الحجاج كانت تنم عن المنزلة الكبيرة التي كانت تحتلها شخصيته في نفس الشاعر ، ولم تكن شخصية الحجاج وحدها قد اخذت هذه المكانة ، وانما كانت منزلة محمد بن الحجاج قد اخذت بعدا آخر في حياة الشاعر ، فمحمد في مفهوم الشاعر يقع في أرومة ثقيف ، وهو ابيض مثل السيف ، جادت به غراء منجبة ، من فرع سعد لها مجد وتكريم ، نواله جزيل ، يهب لمائة من الاشباه والجرد ، ويتبعها البيض الرعاميم ، ويرى الشاعر ان البخل عنده مذموم ، وهو الذى بسط لسان الشاعر بعد غصته ، وهو الذى جبر جناحه بعد ان هضم ومجموعة من الصفات التي كانت تجد مكانتها في عصره ، ويحمد بها الناس اذا ذكرت مقرونة باسمائهم .

وكانت تند من خلال شعره اشارات توحي بالاعتذار ، وتذكرنا بمقولات النابغة ، حتى كأن الصورة كانت تتكرر عند كليهما ، والعديل يؤكد هذا في شعره فيقول[١٢] :

وان لساني عنكم قد علمتم ... لعف واني دونكم لعضوض
واني لما حملتم من ملمة ... تضيق بها اعطانكم لنهوض
يخشونني الحجاج حتى كأنما ... يحرك عظم في الفؤاد مهيض
اذا ذكر الحجاج اضمرت خيفة ... الى القلب حتى في الفؤاد مضيض

وقد اخذ حديث الوشاة مكانه في نفسه وشعره ، لان هذه الاحاديث ظلت تحدد حركته ، وظلت تعمل عملها في توجيه حياته ، وكان يعاني منها معاناة مؤلمة ، ويشعر بما جرته عليه من تشرد[١٣] .

---

(٩) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٣١
(١٠) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٣٨
(١١) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٤١
(١٢) راجع شعر العديل بعد المقدمة .
(١٣) انظر الهامش السابق

وقد قيل حتى ما أبالي حديثه أقاويل منت باطل وظنون
أقاويل منيت باطل وظنون يقلن ولما يأتهن يقين
فأن الذي حدثت رقى حديثه عدو لجبل المسلمين تعين

ان انتساب العديل الى بكر بن وائل زوده بطاقة وفيرة من الفخر وقدم له تورر من العطاء الذي يستطيع بواسطته ان يفخر ، وقد ظلت بكر انشودة وطنية من انشيد الاعتزاز في شعره ، ولحنا حماسيا من الحان الفخر ، وقد ظلت ايامهم خالدة في سجل فخره يستل منها روائع الانتصار[١٤] .

على الصيد من بكر ذوي التاج انهم كرام القرى حشد اذ السرح أجدبا
اذا قطر آفاق السماء رأيته من المحل محمر الجوانب أطهبا
وجدت الجفاف الروح حول بيوتهم لمن بات في ناديهم ان يحجبا

وهي ابيات طويلة فيها يعدد مناقبهم ويشيد بمآثرهم ..

هذه الخطرات المتباعدة من حياته ، وهذه الاشارات التي تحدد صلاته بمعاصريه ـ على الرغم من الخوف الذي استحوذ عليه ، والهلع الذي استبد به ـ تضع لنا مجموعة من المؤشرات التي توحي بأنفة الشاعر ، وبأبائه المستمر وهو يعاني الملاحقات والمطاردات التي تعرض اليها ، وهذا جانب آخر لابد ان تأخذ دراسته جانبا آخر من جوانب حياة هذا الشاعر .

والعديل كما ينسبه ابو الفرج هو العديل بن الفرخ بن معن بن الاسود ابن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سمى بن الحارث ـ وهو العكابة ـ ابن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار .

وقد اكد نسبته الى نزار في اكثر من موضع حيث قال[١٥] :

---

(١٤) انظر الهامش السابق .
(١٥) انظر الهامش السابق .

كـــلانا ينـــادي يانزار وبيننـــا قنا من قنا الجظي أو من قنا الهندي

وقال في ابيات اخرى[١٦] :

واذا ســـألت ابني نـــــزار بينا مجـــــدي ومنزلتي من ابني وائل
حدبت بنو بـــكر عليّ وفيهـــم كـــل المكارم والعـــديد الكامل

ويذكر في ابيات اخرى لجيما فيقول[١٧] :

ان الفوارس مـــن لجيم لم يـــزل فيهم مهـــابة كـــل ابيض فاعـــل

وكان يؤكد في كثير من قصائده ما كانت تعانيه قبيلته من تمزق ، وكأنه كان يجد في فخره ـ وهو يستمده من مآثر قبيلته ـ ما يخفف من غلواء التمزق، وما يحس به من ضعف بعد ان ضيعت قبيلته بطونها ، وتشتت ابناؤها ، ويحاول ان يوصي هذه البطون بالوحدة والوفاق ، ويدلل على ذلك بكثير من الحجج ، فهم كثرة على الرغم من تباعدهم ، وهم كنت الارض لو تزعزع تزعزع ما بين الجنوب الى السد ، فأبوه عند الحفاظ ابوهم ، وخاله خالهم وجده جدهم ، وكان يستل ـ وهو في غمرة هذا الحديث ـ من تاريخه امجاد الفخر ، ويجد فيها مجالا رحبا من مجالات الاعتزاز عندما يعود الى ذي قار ، فيجد فيها صورة الوحدة والانتصار ، ويجد في نموذجه المثل الاعلى في التوافق ووحدة الكلمة من اجل الوقوف بوجه الغزاة الذين حاولوا ان يجدوا لهم مواضع اقـــدام فوق الارض العربية[١٨] .

مـــا اوقد الناس مـــن نار لمكرمـــة الا اصطلينا وكنا موقـــدي النـــار
ومـــا يعدون من يوم سمعت بـــه للناس افضـــل من يوم بذي قـــار

ويقول في قصيدة اخرى[١٩] :

---

(١٦) انظر الهامش السابق .
(١٧) انظر الهامش السابق .
(١٨) انظر الهامش السابق .
(١٩) انظر الهامش السابق .

وكم من رئيس قد غزانا فلم يؤب ... الى قومه الا طليقا مسيبا
اتاهم بلا نهب وأسلم جيشه ... اسيرا مهانا أو قتيلا ملحبا
ونحن عبأنا يوم حنو قراقر ... لحلبة كسرى والذي كان أشبا

ويذكر ذلك في ثانية فيقول[٢٠] :

نحل على الثغر عند الحروب ... فنشكى العدو ونحوي الغنم
لنا سرة الارض لو تعلمون ونار الملوك وارض النعم
نفينا القبائل عن حرها ... بارعن ذي غاية كالاجم
وملك اقمنا له رأسه ... وان كان من قبلنا لم يقم

وهو يفخر بنفسه بشكل يوحي بانه اكرم شاعر في بني بكر بن وائل نسبا عماً وخالاً[٢١] .

اني لاكرم شاعر في وائل ... عماً أغر اذا نسبت وخالا
وأبا به أعلو وتعرف غرتي ... ضخم الدسيعة سيدا مفضالا
فاذا فخرت فخرت غير مغرب ... بالاكرمين الاكثرين رجالا

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول ابي الفرج في خبر له عن الفرزدق وهو يسأل عن شاعر بكر بن وائل فيقول : أميم بن عجل يعني العديل بن الفرخ[٢٢] .

على أن هذا الفخر الذي يقدمه هو فخر تقليدى يقف فيه عند جوانب النسب والاعتزاز القبلي والكثرة ، وذكر الايام ، وهي الصورة المألوفة عند شعراء الفخر ، على ان هذه الصور التي يقدمها في فخره يمكن الانتفاع منها في تسجيل حوادث التاريخ وذكر الايام وتحديد اخبارها وخاصة التي جرت بين ابناء قومه وبين اسد ويربوع ودارم . لانه اعتاد على ذكر الرجال الذين لاقتهم قبيلته امثال زيد الفوارس ، وما استحوذت عليه من سبي واحوال .

أما جوانب السيادة فهو جانب آخر كان يجد له موضعا في حديثه عن الانتصار الحربي وكانت هذه المعاني تتناثر في قصائده حتى اوشكت ان تصبح

---

(٢٠) انظر الهامش السابق .
(٢١) انظر الهامش السابق .
(٢٢) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/٣٤٠

طابعا عاما[٢٣] .

حـــدبت بنو بـــكر عـــلى وفيهم ... كـل المكارم والعـــديد الـكامل
خطروا ورائي بالقنـــــا وتحملت ... منهـــم قبـــائل اردفت بقبـــائل
ان الفـوارس مـــن لجيم لم يـزل ... فيهم مهـــابة كل ابيض فاعـــــل
متعممم بالتـــــاج يسجد حولـــه ... من أهـــــل هوذة للمكارم حامل

وفي قصيدة أخرى يقول[٢٤] .

اولئك قومي مـــن يقسهم بقومـــه ... يلاق وعـورا دونهـــم اد تذبذبا
لنا عـــدد أربى عـــلى عدد الحصى ... ومجـــد تلاد لـــم يكن متأشـــبا
لنـــا باذخ نال السمـــــاء فروعه ... جسيم أبت أركانه ان تصـــوبا
وانا احق النـــاس بالباع والنـدى ... واكثره قومـــا اذا عـــد مصعبا
واكثره بيتـــا طـــويلا عمـاده ... واكثرهم بـــدء اذا هـــز محـربا

ولعل الاباء كان يشكل ظاهرة اخرى من الظواهر التي عرف بها الشاعر، فاباؤه ان تتزوج بنت عمه بغير امره ، وغضبه ورصده له تمثل المؤشر الاول في سلوك الاباء الذي امتد عنده ، وعرف به طوال حياته ، وعندما استعدى مولى دابغ الحجاج عليه وطالبه بالقود فيه بعد قتله هرب العديل الى بلد الروم ، ولجأ الى قيصر ، حتى لا يقع تحت طائلة العقاب الذى شعر بانه في غير حق ، ولم يكتف بهذا الموقف وانما حاول ان يتطاول على الحجاج وبان يده سوف لن تناله لبعده، وأمان موقعه ويذكر لنا ابو الفرج حادثة اخرى تمثـــل اسلوب الشاعر في الاباء عندما خرج العديل يريد الحجاج ، ولما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليـــه العديل وقال : انه لن تدخل على الامير بعد رجالات قريش اكبر مني ولا اولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجاج الى يزيد بن المهلب[٢٥] .

---

(٢٣) راجع شعر العديل بعد المقدمة
(٢٤) انظر الهامش السابق
(٢٥) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/ ٣٣٠

اما حادثة هربه وذهابه الى بكر بن وائل ، وشكايته اليهم امره فتدلل هي الاخرى على اعتزازه الكريم وأنفته الاصيلة وهو يقول لهم : انا مقتول ، أفتسلمونني هكذا وانتم اعز العرب(٢٦)؟ انها كلمة تكشف عن الروح العالية التي كانت تساور هذا الشاعر وهو في أرض عز فيها النصير ، ولفظته كل بقعة من بقاعها ، ونبا به كل مكان هرب اليه • انه لا يريد ان يموت ميتة هينه ، ولا يريد ان يستسلم استسلام الخائرين ولكنه حاول ان يحرك دواعي الاعتزاز في نفوس بكر بن وائل وفي اخبار ابي الفرج حوادث اخرى تؤكد حقيقة هذا الاباء وتؤكد هذه النزعة التي لازمت الشاعر طوال حياته فعانى منها ما عانى وجعلته طريدا لا يستقر ، مشردا لا يعرف الامن والطمأنينة •

ان جانب الاباء الذى ارتدت صورته في حياته بعد ان اصبح غير قادر على المواجهة والاستقرار تعطى شعره صورة من التردد بين الخوف والاقدام ، وتجعله صورة لهاتين الحالتين من التضاد •

وهو يسلك في قصائده مسالك القدامى في بناء القصيدة من حيث وصف الظعائن ، وشكاية لوعة البين بعد رواح القطين بالاحبة ، واعراضهن عنه لما رأين الشيب شامله ، ووصف دقيق للراحلة وهي تنفي الحصى عن اظلها ، قاصدة الممدوح الذي اضفي عليه الصفات المعروفة من بياض مثل السيف ، وجود كالبحر ، وانتماء الى فرع له مجد وتكريم ، وواهب المائة الاشباه والجرد تتبعها ، وهي صورة اخرى من صور الكرم والعطاء التي تقرب الى حد كبير من صورة النابغة ، ولعل اوجه الشبه بين لوحته في المديح ، ولوحة النابغة في الغرض نفسه تقدم لنا التأثر الواضح الذي يجمع بين الصورتين في كثير من الصور والاساليب والمعاني •

وقد ظلت قصائده في بنائها تسير وفق هذا المنهج ترتيبا وبناء وصورا والواحا، وتكاد بعض الصور تتكرر في بعض قصائده ، وكأنه كان يجد فيها التزاما بالشكل المعروف •

واذا استثنينا مقطعاته التي وجدناها متفرقة ومتناثرة •• فان قصائده

---

(٢٦) ابو الفرج • الاغاني ٢٢/٢٣٢

الطوال تشكل وحدة شعرية متلازمة من حيث الالتزام بالمنهج والاتفاق بالتسلسل الموضوعي ، وقد خلت قصائد المديح عنده من لوحات الصيد التي وجدناها عند كثير من الشعراء المتقدمين .

شعره :

العديل شاعر مقل من شعراء الدولة الاموية[٢٧] ، ولابد لنا ونحن نعالج شاعرية هذا الشاعر من تحديد عبارة مقل التي ترد في اخبار المؤرخين القدامى او النقاد الذين حاولوا ان يحددوا منازل الشعراء ، فالمقل له في الاعراف النقدية منزلة تختلف عن الشاعر المكثر ، الى جانب الجودة والمقاييس الاخرى التي تدخل في هذه المقاييس ، وقد اختار له صاحب منتهى الطلب سبع قصائد جاوز عدد ابياتها المائتين ، وانفرد ابو الفرج بمجموعة اخرى من الابيات الى جانب المصادر التي استشهدت ببعض ابياته . وتغلب على قصائده الطول اذا قيست بقصائد الشعراء الاخرين . ان هذه اللمحات ترسم لنا الصورة التي يجب ان يقف امامها الباحث ، وهو يرى صورة الشاعر تحدد بالمقل ، وتظل هذه العبارة غير محددة الابعاد بالشكل الدقيق . والعديل شاعر بكر بن وائل كما يقول الفرزدق[٢٨] على انه ضائع الشعر ، سروق للبيت ، وضائع الشعر هذه توحي بدليل آخر يمكن ان تقف مرة اخرى امام عبارة (مقل) ، وفي خبر عن الاصمعي يقول ابو الفرج على لسانه[٢٩] : دخلت على الرشيد يوما وهو محموم فقال : انشدني يا اصمعي شعرا مليحا ، فقلت : أرصينا فحلا تريده ياامير المؤمنين ام شجيا سهلا ؟ فقال : بل غزلا بين الفحل والسهل فانشدته للعديل ابن الفرخ العجلي .

صحا من طلاب البيض قبل مشيبه وراجع غض الطرف فهو خفيض

الخ الابيات ..

فقال لي : أعدها ، فما زلت أكررها عليه حتى حفظها . على ان الصورة

---

(٢٧) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/٣٢٧

(٢٨) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/٣٤٠

(٢٩) ابو الفرج . الاغاني ٢٢/٣٤٢

الشعرية التي تقدمها القصائد التي دفعنا عليها ـ وهي جزء من شعره ، لاعتقادنا بضياع كثير من هذا الشعر ـ تؤكد مدلول الشاعرية التي امتاز بها هذا الشاعر وتؤكد القدرة التي يستطيع بواسطتها ان يحقق لمنهجه خطا واضحا بين معاصريه عن الشعراء ، لان القصائد الطويلة التي قدمها لنا صاحب منتهى الطلب ، وهي اختيارات ، توحي بان العديل كان يترسم خطى القدامى من الشعراء ترسما واعيا ، فيأخذ منها ما يراه مناسبا ، ويضيف اليه من معطيات عصره ما يكسبها قوة على المعاصرة ، ويجعلها قادرة على اداء المعاني التي كان يستلها من الشعر القديم • وتظل بقية المصادر مقتصرة على ايراد المقطعات القليلة ، والابيات المفردة ، من خلال الجوانب التي ترى فيها مجالا للاستشهاد ، او انسجاما مع الاغراض التي تعالجها هذه المصادر ، وهذا يؤكد لنا ان كتاب منتهى الطلب يعد المصدر الاساسى في شعر العديل •

أما ديوانه فيبدو ان عوادي الزمن قد عدت عليه مع بقية الدواوين فلم تترك له اثرا •

لم يترك لنا شعر العديل صورة عن حياته الخاصة او حياة اسرته ، وانما كان جل شعره مخصصا للفخر بقبيلته والحديث عن واقعه القلق الذى ظل يعانيه طوال حياته بسبب الثغرة التي وقعت بينه وبين الحجاج • واذا قدر لبعض اخباره ان تتناثر فهي اخبار قصيرة يقف عند بعضها ابو الفرج فيقول : وكان له ثمانية اخوة ، وامهم جميعا امرأة من بني شيبان ، ومنهم من كان شاعرا فارسا ، اسود وسواد وشملة ـ وقيل سلمة ـ والحارث وكان يقال لامهم درماء[٣٠] وتأتي بعض اخبار الاسود وسوادة في سياق بعض اخباره[٣١] ، اما صلاته فكانت تأتي اخبارها متباعدة ايضا لانها كانت تمر من خلال مناسبات قصائده ، فقد اتصل العديل بزيد ابن المهلب (كانت وفاته سنة ١٠٢) فمدحه[٣٢] ، ومدح عكرمة بن ربعي ، وحوشب بن يزيد بن رويم الشيباني (عامل الحجاج على الكوفة سنة

---

(٣٠) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٢٧
(٣١) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٢٨
(٣٢) ابو الفرج : الاغاني ٢٢/٣٣٠

٨٤)[٣٣] ، واتصل بمالك بن مسمع الجحدرى (قتل سنة ١٠٢)[٣٤] فوصله واقام بالبصرة واستطابها وكان مقيما عند مالك ..

ان هذه الصلات يمكن ان تحدد لنا عصر الشاعر الذي تحرك فيه ، وهو بداية القرن الثاني ، لاننا لم نستطع الوقوف عند اخبار اخرى تجناز هذه الفترة الزمنية او تتخطى عتباتها . ولعل اخبارا اخرى تقدم لنا زمنا اكثر تحديدا تبرز من خلال الاشعار او المصادر التي يمكن ان يعثر عليها ..

---

(٣٣) ابو الفرج : الاغانى ٣٤٢/٢٢

(٣٤) ابو الفرج : الاغانى ٣٤٢/٢٢

قال صاحب ديوان المعاني « وأنشدنا العديل بن الفرخ العجلي » (٣٥)

١ ـ هل تقضين لمستهام حاجةً ... نيطت اليك بها حبال رجائهِ
٢ ـ أفنى تجلده بقاء دموعهِ ... وادام عبرته فناء عزائهِ

وقال العديل أيضا (٣٦) :

١ ـ أجدك لا تنهي وأن كنت أشيبا ... فؤادك ذا الاهواء أن يتطربا
٢ ـ وقد كان أحيانا اذا اقتاده الهوى ... عصا في هواه العاذلين فاصحبا
٣ـ فأصبحت ذا صغو الى اللهو بعدما ... وهى منك باقي حبله فتقضبا
٤ ـ تمنى المنى القلب اللجوج وقد ترى ... بعينك ان لم يطلب اللهو مطلبا
٥ ـ وكيف طلاب البيض او تبع الصبا ... وقد صرت من شيب تغشاك اشيبا
٦ ـ وكان طلاب الغانيات كأنما ... تباعده منهن ان يتقربا
٧ ـ على أن من سلمى خيالا اذا نأت ... بها الدار لو نحلفك ان يتأوبا
٨ ـ يلم فيأتي بالسلام ودونها ... بلاد ترى أعلامها الغبر نضبا
٩ ـ اذا كلفتها العيس قطع بينها ... فيافي يتركن الايانق لغبا
١٠ـ تراهن بعد البدن من شدة السرى ... دقاما كأقواس المعطف شزبا
١١ـ عرفت لها دارا بمدفع داحس ... قفارا عفت الا نعاما وربربا
١٢ـ رعين الندى حتى اذا يبس الثرى ... وعفت رياح الصيف شرقا ومغربا
١٣ـ ولاحت من الصبح الثريا ولم يجد ... صدى ابل الا المهايع مشربا
١٤ـ دعت بالجمال البزل للظعن بعدما ... تجذب راعي الابل ما قد تجلبا (*)
١٥ـ بكل سنيد المنكبين تخاله ... من البدن لما زال بالحمل اغلبا
١٦ـ علندى كأن الحص خالط لونه ... اذا الخطو عن أعلى صلاه تقربا
١٧ـ منعمة كالريم لم تخش فاقة ... عليها ولو تتبع شقيا معذبا
١٨ـ رمته بسهم الجهل فأصطاد قلبه ... سليمى وقد مالوا بعزى وجربا

---

(٣٥) ٢/٢٣٦ .
(٣٦) الابيات (١ـ٤٦) في منتهى الطلب الورقة / ١٢ـ١٣
والبيت (١٤) في اللسان (جذب) .

(*) يقال للناقة اذا غرزت وذهب لبنها قد جذبت تجذب جذابا فهي جاذب

١٩- فلم أر ممن يسكن المصر مثلها جمـــالا ولا اللآئي رمين المحصبا
٢٠- تكرمـــه بالود وهو يشقـــه اليها هـــوى ممـــا بدا أو تغيبـــا

٢١- اذا حدث الركب العجال بذكرها طروقا وقـــد ملوا الجبال واطنبـــا

٢٢- تهد شباب بالغـــواني واتني لمثن ومـــا اخشى به أن اكـــذبا
٢٣- على الصيد من بكر ذوي الناج انهم كرام القـرى حشد اذا السرح اجدبا
٢٤- اذا قطر آفـــاق السماء رأيتـه من المحـــل محمر الجوانب اصهبا

٢٥- وجدت الجفان الروح حول بيوتهم لمن بات في ناديهـــم أن يحجبـــا
٢٦- مبرزة فيهـــا البوائك كلمـــا خلت جفنـــة علت سديفـــا مشطبا

٢٧- اولئك قومي من يقسهم بقومـه يلاق وعـــورا دونهـــم اذ تذبذبا
٢٨- لنا عدد أربى على عدد الحصى ومجد تلاد لم يـــكن متأشـــب

٢٩- لنا باذخ نال السمـــاء فروعـــه جسيم أبت اركـــانه أن تصـــوبا
٣٠- فنحن حديا الجن والانس كلها فصالا لمن عـــد القـــديم ومحسبا

٣١- وانا أحق الناس بالباع والندى واكثره قومـــا اذا عـــد مصحبا
٣٢- واكثره بيتـــا طويلا عمـــاده واكثرهم بدء اذا هـــز محربا

٣٣- كريما ترى الابطال تعلم أنـــه اخو نجدة مـــاض اذا مـــا تليبـــا
٣٤- منيعا تفادى الخيل منه كأنمـــا يحـــاذرن وطـــاء الفريس مهيبـــا

٣٥- غذيا ابا شبلين يشغـــل فرنـــه اذا عض لم ينـــكل حشاها ونيبـــا
٣٦- نبا يتقى الثغر المخـــوف لقاؤه اذا ما دعـــا داعي الصبـــاح وثوبا

٣٧- وكم من رئيس قد غزانا فلم يؤب الى قومـــه الا طليقـــا مسـيبا
٣٨- أتاهم بلا نهب وأسلم جيشـــه اسـيرا مهـــانا او قتيلا ملحبـــا

٣٩- ونحن عبأنا يوم حنـــو قراقر لحلبة كســرى والذي كان أشـــبا
٤٠- فوارس صدق لا يبالون من ثوى اذا كسفوا يومـــا اغـــر محيبا

وتجذب اللبن : اذا شربه .

٤١ـ على كل شوهاء العنان كأنها عقاب اذا ما العطف منها تحلبا

٤٢ـ وأجرد عريان كأن لجامه اذا ما تراقى علق جذعا مشذبا

٤٣ـ اذا اغتربت منا هجان كريمة وجدت ابنها اذ عد خالا ومنجبا

٤٤ـ تمجد ما يعلو الرجال وينتمي اذا قام في يوم الحفيظة مغضبا

٤٥ـ وان كان من حي كرام اعزة وكان خيار الحي منهم مركب

٤٦ـ وكانت سراة الحي تعلم أنه أعزهم عزا واكرمهم أبا

قال ابو عمرو ايضا : قال : العديل لرجل من موالي الحجاج كان وجهه في جيش الى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق ابله ، واحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته ، واخذ حليهن ، فدخل العديل يوما على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلق بثوبه، واقبل عليه وانشأ يقول (٣٧)

١ ـ سلبت بناتي حليهن فلم تدع سوارا ولا طوقا على النحر مذهبا (*)

٢ ـ وما عز في الاذان حتى كأنما تعطل بالبيض الاوانس ربربا

٣ ـ عواطل الا أن ترى بخدودها قسامة عشق او او بنانا مخضبا

٤ ـ فككت البرين عن خدال كأنها براري غيل ماؤه قد تنضبا

٥ ـ من الدر والياقوت عن كل حرة ترى سمطها بين الجمان مثقبا

٦ ـ دعون امير المؤمنين فلم يجب دعاء ولم يسمعن أما ولا أبا

خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب ، فوثب عليه العديل ، وقال : انه لن يدخل على الامير بعد رجالات قريش اكبر

---

(٣٧) الابيات (١ـ٦) في الاغاني ٢٢/٣٣٦ـ٣٣٧

(*) قال ابو الفرج : هكذا في الشعر : سلبت بناتي ، والغناء فيه : سلبت الجواري حليهن .

مني ، ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام فحفظه وانصرف العديل عن باب الحجاج الى يزيد بن المهلب ، فلما دخل اليه انشأ يقول (٣٨)

١ ـ لئن ارتج الحجاج بالبخل بابه ... فباب الفتى الازدي بالعرف يفتح
٢ ـ فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله ... اذا جعلت أيدي المكارم تسنح
٣ ـ يداه يد بالعرف تنهب ما حوت ... وأخرى على الاعداء تسطو وتجرح
٤ ـ اذا ما أتاه المرملون تيقنوا ... بان الغنى فيهم وشيكا سيسرح
٥ ـ أقام على العافين حراس بابه ... ينادونهم والحر بالحر يفرح
٦ ـ هلموا الى سيب الامير وعرفه ... فان عطاياه على الناس تنفح
٧ ـ وليس كملج من ثمود بكفه ... من الجود والمعروف حزم مطوح

قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : (٣٩)

انشدني السجستاني عن ابي عبيدة للعديل

١ ـ ومهرين كالرمحين تنشق عنهما ... عجاجة نقع ساطع فتجردا
٢ ـ شجيرين طار الكبو والربو عنهما ... اذا الربو في اكفالهن تصعدا (٤٠)

وقال العديل بن الفرخ العجلي : (٤١)

١ ـ ألا يا سلمي ذات الدمالج والعقد ... وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد
٢ ـ وذات اللثات الحم والعارض الذي ... به أبرقت عمدا بابيض كالشهد
٣ ـ كأن ثناياها اغتبقن مدامة ... ثوت حججا في رأس ذي قنة فرد
٤ ـ لعمري لقد مرت لي الطير آنفا ... بما لم يكن اذ مرت الطير من بد
٥ ـ ظللت أساقي السهم اخوتي الاولى ... ابوهم أبي عند المزاح وفي الجد
٦ ـ كلانا ينادي يانزار وبيننا ... قنا من قنا الخطى أو من قنا الهند

---

(٣٨) الابيات (١ـ٧) في الاغاني ٢٢/ ٣٣٠ـ٣٣١

(٣٩) ١/ ١٥٤ .

(٤٠) يقال فرس شجير : أي لطيف الشجر ، ليس بمنتج ولكنه لطيف لاينتفج ولا يربو . والكبو هنا . ان لا يعرق ، كما تكبو الركية اذا ذهب ماؤها فلم تبض . واذا صعد الربو في كفل الفرس ، وذلك من طول ما يعلف سقطت رجلاه فقام .

(٤١) الابيات (١ـ٢١) في حماسة ابي تمام / ٧٢٩ـ٧٤٠ وفي الهامش نقلا عن ابي رياش انها ليست للتعديل ولكنها لابي الاخيه العجلي .

قال ابو الحسن : ولما قتل مصعب خرج رسول فطم الى مالك بن مسمع وهو بتاج يبشره بقتله فقدم وخالد بن عبدالله بالبصرة قد قدمها واليا فجاء يسير حتى اناخ ناقته على بساط خالد فقال العديل بن الفرخ (٤٢)

أنخت على ظهر البساط فلم تسر ... على رغم من أمسى عدوا لخالد
٧ ـ قروم تسامى من نزار عليهم ... مضاعفة من نسج داود والسعد
٨ ـ اذا ما حملنا حملة ثبتوا لنا ... بمرهفة تذري السواعد من صعد
٩ ـ وان نحن نازلناهم بصوارم ... ردوا في سرابيل الحديد كما تردي
١٠ـ كفى حزنا الا أزال أرى القنا ... تمج نجيعا من ذراعي ومن عضدي
١١ـ لعمري لئن رمت الخروج عليهم ... بقيس على قيس وعوف على سعد
١٢ـ وضيعت عمرا والرباب ودارما ... وعدوان ود كيف اصبر عن ود
١٣ـ لكنت كمهريق الذي في سقائه ... لرقراق آل فوق رابية صلد (٤٣)
١٤ـ كمرضعة اولاد أخرى وضيعت ... بني بطنها هذا الضلال عن القصد
١٥ـ فأوصيكما يابني نزار فتابعا ... وصية مفضى النصح والصدق والود
١٦ـ فلا تعلمن الحرب في الهم هامتي ... ولا ترميا بالنبل ويحكما بعدي
١٧ـ أما ترهبان النار في ابني ابيكما ... ولا ترجوان الله في جنة الخلد
١٨ـ فما ترب اثرى لو جمعت ترابها ... باكثر من ابني نزار على البعد
١٩ـ هما كنفا الارض اللذا لو تزعزعا ... تزعزع ما بين الجنوب الى السد
٢٠ـ واني وان عاديتهم وجفوتهم ... لتألم مما عض اكبادهم كبدي
٢١ـ لان أبي عند الحفاظ ابوهم ... وخالهم خالي وجدهم جدي

انشد دابغ من شعر العديل (٤٤) من الرجز

يادار سلمى اقفرت من ذي قار ... وهل باقفار الديار من عار
قوارب الماء سوامي الابصار
وقد كسين عرقا مثل القار ... يخرجن من تحت خلال الاوبار

---

(٤٢) البيت في أنساب الاشراف ٤/١٦٥
(٤٣) في اللسان (هرق) .. وروايته نكنت جلد
(٤٤) في الاشطر الاربعة في الاغانى ٢٢/٣٢٨ .
والشطران الاول والثاني في الشعر والشعراء ـ ٣٢٦

قال العديل يمدح مالك بن مسمع : (٤٥)

١ - أمن منزل من أم سكن عشية ظللت بـه أبكى حزينـا مفكرا
٢ - معي كل مسترخي الازار كأنه اذا ما مشى مـن جن غيـل وعبقرا
٣ - يزجي المطـايا لا يبالي كليهما مقلصة خوصـا من الأين ضمـرا
٤ - اذا ما خشينا من أمير ظلامـة دعـونا ابا غسان يومـا مفـكرا
٥ - ترى الناس افواجا الى باب داره اذا شاء جـاءوا دارعين وحسـرا
٦ - فما في معـد كلها مثـل مالك اغـر اذا سـامى وأهيب منظـرا
٧ - بني مسمع لولا الالـه وأنتم بني مسمع لم ينـكر الناس منـكرا
٨ - بني مسمع انتم ذؤابـة وائل واكرمهـا في أول الدهر جـوهرا

قال العديل بن الفرخ العجلي : (٤٦)

١ - أفي الحق أن يعطى الفرزدق حكمـه
وتخـرج كفي مـن نوالـكم صـفرا
٢ - سـأهدي الى قيس بن سعد قصيـدة
متى مـا تلاق العظم تتـرك به كسـرا
٣ - أهـم فتثنيني أواصـر بينـا
وأيـد حسـان لم أؤد لهـا شـكرا

كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيباني وعكرمة بن ربعي البكري يتنازعان الشرف ، ويتباريان في اطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب . وكان حوشب يغلب عكرمة لسعة يده ، قال : وقدم عبدالعزيز بن يسار مولى بجير قال : وهو زوج ام شعبة الفقيه ، بسفائن دقيق ، فاتاه عكرمة فقال له : الله الله في ، قد كاد حوشب ان يستعليني ويغلبني بما له ، فبعني هـذا الدقيق بتأخير ، ولك فيه مثل ثمنه ربحا فقال : خذه ، وأعطاه أياه ، فدفعه الى قومـه ، وفرقه بينهم ، وامرهم بعجنه كله ، فعجنوه كله ، ثم جاء بالعجين كله ، فجمعـه

---

(٤٥) الابيات (١-٣) في الحماسة البصرية ١/٢٥١
والابيات (٤-ب) عدا الخامس في انساب الاشراف ٥/٢٦٥
ولرابع بلا عزو في تاريخ الطبرى ٧/٢٨٠ ونسب في كامل ابن الاثير ٤/٨١
والسابع في العمدة ٢/٧٢

(٤٦) الابيات (١-٥) في الاغاني ٢٢/٣٣٩-٣٤٠

في هوة عظيمة ، وامر به ، فغطي بالحشيش ، رجاء برمكة [٤٧] ، فقربوها الى فرس حوشب ، حتى طلبها وأقلت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها ، حتى القوها في ذلك العجين وتبعها الفرس ، حتى تورطا في العجين وبقيا فيه جميعا ، وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر ، يامعشر المسلمين ، ادركوا فرس حوشب ، فقد غرق في خميرة عكرمة ، فخرج الناس تعجبا من ذلك ان تكون خميرة يغرق فيها فرس ، فلم يبق في العسكر احد الا ركب ينظر ، وجاءوا الى الفرس ـ وهو غريق في العجين ما يبين منه الا رأسه وعنقه ـ فما اخرج الا بالعمد والحبال ، وغلب عليه عكرمة ، وافتضح حوشب فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ويفخر بهما :

وعكرمة الفياض فينا وموشب ... هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا [٤٨]
هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما ... رئيس ولا الاقيال من آل حميرا

وقال العديل بن الفرخ العجلي [٤٩] :

١ ـ ما أوقد الناس من نار لمكرمة ... الا اصطلينا وكنا موقدي النار
٢ ـ وما يعدون من يوم سمعت به ... للناس أفضل من يوم بذي قار
٣ ـ جئنا باسلابهم والخيل عابسة ... يوم استلبنا لكسرى كل اسوار

وقال ايضا [٥٠]

١ ـ اصبحت في جذر الحجاج منتخبا ... كالعير يضرط والمكواة في النار
٢ـ كأن لم اكن ارعى الصبا ويقودني ... أهل الشتاءة عاموا في الدم الجاري
٣ ـ قد يضرط العير والمكواة تأخذه ... لا يضرط العير والمكواة في النار

وقال العديل ايضا : [٥١]

---

(٤٧) الرمكة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .
(٤٨) الخبر والبنيان في الاغاني ٢٢/٣٤١ـ٣٤٢
(٤٩) الابيات في النفائض / ٦٤٦ والشعر والشعراء ٣٢٦
(٥٠) الابيات (١ـ٣) في المحاسن والاضداد / ١١٣
والبيتان الاول والثاني في جمهرة الامثال ٢/١٢٤
(٥١) الابيات (١ـ١٥) في منتهى الطلب الورقة/١١
والابيات (٧،٩،١٠) في الاغاني ٢٢/٣٢٩
الابيات (١ـ٤) في الاغاني ٢٢/٣٤٣
والبيت (٩) في اللسان (بسط) .

١ – صحا من طلاب البيض قبل مشيبه ... وواضع طرف العين فهو خفيض

٢ – كأن لم اكن ارعى الصبا ويقودني ... من الحي احوى المقلتين غضيض

٣ – دعاني له يوما هوى فأجابه ... فؤاد اذا يلقى المراض مريض

٤ – لمستأنسات بالحديث كأنها ... تهلل غر برقهن وميض

٥ – وان لساني عنكم قد علمتم ... لعف واني دونكم لعضوض

٦ – واني لما حملتم من ملمة ... تضيق بها اعطانكم لنهوض

٧ – يخشونني الحجاج حتى كأنما ... يحرك عظم في الفؤاد مهيض (٥٢)

٨ – اذا ذكر الحجاج أضمرت خيفة ... الى القلب حتى في الفؤاد مضيض

٩ – ودون يد الحجاج من أن تنالني ... بساط لأيدى الناعجات عريض (٥٣)

١٠ – مهامه أشباه كأن سرابها ... ملاء بايدى الغاسلات رخيص (٥٤)

١١ – اذا كلفتها العيس زيل بينها ... خرابي يجري آلها وغموض

١٢ – اذا استوقدت منها الا ماعز غادرت ... بها جندب المعزاء وهو ركوض

١٣ – قليل بها السارون الا تعلة ... مطي جرت أحقابه وغروض

١٤ – اذا قلصت خوص العيون كأنها ... قداح نحاها باليدين مفيض

١٥ – ترى الحرة الوجناء يضرب حاذها ... ضئيل كفروج الدجاج جهيض

وقال العديل (٥٥)

١ – ما زال في قيس بن سعد لجارهم ... على عهد ذي القرنين معط ومانع

٢ – هم استنقذوا حسان قرا وانتم ... لئام المقام والرماح شوارع

٣ – غدرتم بدينار دحسان غدرة ... وبالفرخ لما جاءكم وهو طالع

٤ – فلولا بنو قيس بن سعد لاصبحت ... عليّ شدادا قبضهن الاصابع

٥ – الا تسألون ابن المشتم عنهم ... جعامة والجيران واف وضالع

قال ابو عمرو الشيباني : أصاب رجل من رهط العديل من بني العكابة

---

(٥٢) في الاغاني ٢٢/٣٢٩ . أخوف بالحجاج

(٥٣) في كامل المبرد/٤٤٢ بساط الايدى اليعملات

(٥٤) في الاغاني ٢٢/٣٢٩ ملاء بايدي الراحضات

(٥٥) الابيات في الاغاني ٢٢/٣٣٨–٣٣٩

انف رجل من بني عجل يقال له جبار فقال العديل في ذلك ـ وكان غدوا له [٥٦]

١ ـ ألم تر جبـــارا ومـارن انه ... لـــه ثلم يهـــوين أن ينتخعـــا
٢ ـ ونحن جـــدعنا أنفـــه فكأنما ... يرى الناس اعـــداء اذا هو أطلعـــا
٣ ـ كلوا انف جبـــار بكارا فانـه ... تركنـــاه عن فرط من الشر اجدعا
٤ ـ معاقد من أيديهـــم وانوفهـــم ... بـــكارا ونيبـــا تركب الحزن ظلعا

وكان رجل من رهط العديل ايضا ضرب يد وكيع احد بني الطاغية ، وهما يشربان فقطعها وافترقا ، ثم هرب العديل وابوه الى بني قيس بن سعد لما قـــال الشعر الاول يفخر بقطع انف جبر ويد كنغ ، لانهم حلفوا ان يقطعوا انفه ويده دون من فعل ذلك بهم ، فلجأ الى عفير بن هلال بن مرة بن عبدالله بن معـاوية بن عبد بن سعد بن جشم بن قيس بن عجل ، فقال العديل في ذلك [٥٧]

١ ـ تركت وكيعا بعد ما شاب رأسه ... أشـــل اليمين مستقيم الاخـــادع
٢ ـ فشرب بها ورق الافـال وكل بها ... طعـــام الذليـل وانجحر في المخادع

اخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثنا الرياشي عن الاصمعي قال : قـال ابو النجم للعديل بن الفرخ : ارأيت قولك : [٥٨]

١ ـ فأن تك مـن شيبان أمي فـــأنني ... لأبيض عجلي عـــريض المفـــارق
٢ ـ وكيف بذكرى أم هارون بعدما ... خبطن بايديهـــن رمـــل الشقائق
٣ ـ كأن نقا من عـــالج أزرت بـــه ... اذا الزل الهاهن شـــد المنـــاطق
٤ ـ وانا لنعلي في الشتاء قـــدورنا ... ونصبر تحت اللامعـــات الخوافق

وقال : [٦٠]

---

(٥٦) الابيات (١ـ٤) في الاغاني ٢٢/٢٣٧
(٥٧) البيتان في الاغاني ٢٢/٣٣٨
(٥٨) الابيات (١ـ٤) في الاغاني ٢٢/٣٢٦ والاول فيه ٢٢/٣٣٩
(٦٠) الابيات (١ـ١٣) في الاغاني ٢٢/٣٣٢ـ٣٣٣
والابيات (١، ٢، ٤) في البيان والتبيين ١/٣٦٨ والشعر والشعراء / ٣٢٦ والاغاني ٢٢/٣٣٠
والخزانة ٢/٣٦٨ والبيتان ، الاول والثاني في كامل المبرد ٢/١٩
١ ـ في البيان والتبيين ١/٣٦٨ ولو كنت بالعنقاء او بأسومها
والخزانة ٢/٣٦٨

١ ـ فلو كنت في سلمى أجاد شعابها ... لكان لحجاج عليّ دليل
٢ ـ بنى قبة الاسلام حتى كأنما ... هدى الناس من بعد الضلال رسول
٣ ـ اذا جار حكم الناس الجأ حكمه ... الى الله قاض بالكتاب عقول (٦١)

٤ ـ خليل أمير المؤمنين وسيفه ... لكل امام صاحب وخليل
٥ ـ به نصر الله الخليفة منهم ... وثبت ملكا كاد عنه يزول (٦٢)

٦ ـ فأنت كسيف الله في الارض خالد ... تصول بعون الله حين تصول
٧ ـ وجاريت أصحاب البلاء بلاءهم ... فما منهم عما تحب نكول
٨ ـ وصلت بمران العراق فأصبحت ... مناكبها للواطء وهي ذلول (٦٣)
٩ ـ أذقت الحمام ابني عباد فاصبحوا ... بمنزل موهون الجناح ثكول (٦٤)
١٠ـ ومن قطري نلت ذاك وحوله ... كتائب من رجالة وخيول
١١ـ اذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي ... أتت خير منزول به ونزيل
١٢ـ وما خفت شيئا غير ربي وحده ... اذا ما انتحيت النفس كيف أقول
١٣ـ ترى الثقلين الجن والانس اصبحا ... على طاعة الحجاج حين يقول

لما قدم الحجاج العراق قال العديل بن الفرخ : (٦٥)

١ ـ دعوا الجبن ياأهل العراق فانما ... يهان ويسبى كل من لا يقاتل
٢ ـ لقد جرد الحجاج للحق سيفه ... الا فاستقيموا لا يميلن مائل
٣ ـ وخافوه حتى القوم بين ضلوعهم ... كنزو القطا ضمت عليه الحبائل
٤ ـ واصبح كالبازي يقلب طرفه ... على مرقب والطير منه دواحل

قال العديل بن الفرخ بن معن بن اسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة ابن

---

(٦١) في البيان والتبين ١/٣٦٨ والشعروالشعراء /٣٢٦/ لكل امام مصطفى
(٦٢) قال ابو الفرج ٢٢/٣٣٢ .. ويروى : به نصر الله الامام عليهم ..
(٦٣) قال ابو الفرج ٢٢/٣٣٢ . اقام الواحد مقام الجمع في قوله : ذلول.
(٦٤) في البيت اقواء .
(٦٥) الابيات (١ـ٤) في الاغاني ٢٢/٣٤٠ـ٣٤١

شنى بن الحارث وهو السياب [٦٦] بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن اسد ابن ربيعة بن نزار . وام العديل درنا من بني محلم ، شيبانية :

١ ـ ما بال عينك أسبلت اسبالا ... من أن عرفت لمنزل أطلالا
٢ ـ قبلي وقبلك فاقبلن نصيحتي ... ضرب الحليم لذي الصبا امثالا
٣ ـ اني لاكرم شاعر في وائل ... عما اغر اذا نسبت وخالا
٤ ـ وأبابه أعلو وتعرف غرتي ... ضخم الدسيعة سيدا مفضالا
٥ ـ فاذا افتخرت فخرت غير مغرب ... بالاكرمين الاكثرين رجالا
٧ ـ بربيعة الأثرين في أيامها ... والاطولين فوارعا وجبالا
٧ ـ تلقاهم في الحرب حين تكمشت ... بيض الوجوه على العدو ثقالا
٨ ـ والخيل تعلم أننا فرسانها ... عند الصباح اذا رأين قتالا
٩ ـ الضاربين اذا أردت طرادهم ... والنازلين اذا اردت نزالا
١٠ـ والضاربين اذا الكتائب احجمت ... غربا يذبح مل عدا الابطال
١١ـ فصبحن من أسد حلولا باللوى ... موتا ازلن به العدو فزالا
١٢ـ وقتلت يربوعا بهن ودارما ... وأخذن منهم حاجبا وعقالا
١٣ـ ووطئن يوم الشيطين بكلكل ... عمرا ومن سعد أبرن حلالا
١٤ ـ ومن الرباب لقينه فقتلنه ... زيد الفوارس بالنصال فمالا
١٥ـ عن ظهر أجرد سابح ذي ميعة ... نقل اذا ما خالط الاجر الا [٦٨]
١٦ـ وأخذن من افناء قيس كلها ... ساداتها والسبي والاموالا
١٧ـ فتبدلت منا سبايا منهم ... بعد النعيم مدارعا وشمالا
١٨ـ واذا عددت فعال قومي بينوا ... فوق الخلائق بسطة وفعالا
١٩ـ واذا نطقت مع المقاول لم أدع ... للقائلين اذا نطقت مقالا

---

(٦٦) في الاغاني ٣٢٧/٢٢ وهو العكابه بن ربيعة ، وفي اللسان (عكب) وبمكابة يوحي من بكر وهو عكابة بن صلب بن علي بن بكر بن وائل .

(٦٧) الابيات (١ ـ ١٩) في منتهى الطلب الورقة ٦

(٦٨) الجرل : المكان الصلب الغليظ الشديد ومكان جرل والجمع : اجرال

وقال العديل يفتخر (٦٩) .

١ – صرم الغواني فاستراح عواذلي وصحوت بعد صبابة وتمايل (٧٠)
٢ – وذكرت يوم كوى عنيق نسوة يأرجن بين اكلة ومراحل (٧١)
٣ – لعب النعيم بهن في أطلاله حتى كبسن زمان عيش غافل (٧٢)
٤ – يأخذن زينتهن احسن ما ترى واذا عطلن فهن غير عواطل (٧٣)
٥ – واذا خبأن خدودهن أرينا حدق المها واخذت قبل القابل (٧٤)
٦ – (ورمينني لا يسترن بجنة ألا الصبا وعلمن أين مقاتلي (٧٦)
٧ – يلبسن أردية الشباب لاهلها ويمد بالحبلين حبل الباطل (٧٧)
٨ – بيض الأنوق كسرهن ومن يرد بيض الانوق فوكرها بمعاقل (٧٨)
٩ – زعم الغواني أن جهلك قد صحا وسواد رأسك قصد شيب شامل (٧٩)
١٠– ورآك أهلك منهم ورأينهم ولقد يكون مع الشباب الخاذل

---

(٦٩) الابيات (١–٣٨) عدا السادس في منتهى الطلب (مخطوطة الدكتور يحيى الجبوري) .
وعدا البيت الحادى والعشرين في الاغاني ٢٢/٣٣٣–٣٣٦
والابيات (٤–٧) في كتاب الزهرة النصف الاول/٩ وامالي الزجاجي ١٠٠–١٠١ .

(٧٠) في الاغاني ٢٢/٣٣٣ ... واستراح
(٧١) في الاغاني ٢٢/٣٣٣ ... لوى عتيق .. يخطرن
(٧٢) في الاغاني ٢٢/٣٣٣ في اظلاله ...
(٧٣) في الزهرة /٩ فاذا
(٧٤) في الاغاني ٢٢/٣٣٣ وفي الزهرة وامالي الزجاجي حدق المها واجدن سهم القاتل
(٧٦) البيت زيادة من الاغاني ٢٢/٣٣٤ في الزهرة /٩ وفرميتنا واخذن نبل القاتل
(٧٧) في الاغاني ٢٢/٣٣٤ والزهرة/٩/١٠١ ويجر باطلهن
وفي امالى الزجاجي /١٠١ ويجر باطلهن ذيل الباطل
(٧٨) الانوق : العقاب ، يقال : اعز من بيض الانوق لانها تحرزه في اوكارهـا في القلل الصعبة فلا يكاد احد يظفر به .
(٧٩) في الاغاني ٢٢/٣٣٤ .. بيض الانوق كأنهن وفي اللسان (انق) .. فانه بمعاقل وسواد رأسك فضل شيب

١١- فاذا تطاولت الحبال رأيتنا بفروع ارعن فوقها متطاول (٨٠)

١٢- واذا سألت ابني نزار بينا مجدي ومنزلتي من أبني وائل

١٣- حدبت بنو بكر عليّ وفيهم كل المكارم والعديد الكامل

١٤- خطروا ورائي بالقنا وتجمعت منهم قبائل أردفت بقبائل (٨١)

١٥- ان الفوارس من لجيم لم يزل فيهم مهابة كل أبيض فاعل (٨٢)

١٦- متعمم بالتاج يسجد حوله من أهل هوذة للمكارم حامل (٨٣)

١٧- أو رهط حنظلة الذين رماحهم سم الفوارس حتف موت عاجل

١٨- قوم اذا شهروا السيوف رأوالها حقا ولم يك سلها بالباطل (٨٤)

١٩- ولئن فخرت بهم لمثل قديمهم بسط المغامر من لسان القائل (٨٥)

٢٠- اولاد ثعلبة الذين بمثلهم حليم الحليم ورد جهل الجاهل (٨٦)

٢١- أهل العرادة والنبوح ترى لهم حلق المجالس بالصعيد القابل (٨٧)

٢٢- ولمجد يشكر سورة عادية وأب اذا ذكروه ليس بخامل

٢٣- وبنو القدار اذا عددت صنيعهم وضح القدار لهم بكل محافل (٨٨)

٢٤- واذا فخرت بتغلب ابنة وائل فأذكر مكارم من ندى وأوائل

٢٥- ولتغلب الغلباء عز بين عادية ويزيد فوق الكاهل

٢٦- قسطوا على النعمان وابن محرق وابني قطام بعزة وتفاول (٨٩)

٢٧ - بالمقربات يبتن دون رحالهم كالقد بين أجلة وصواهل (٩٠)

---

(٨٠) في الاغاني ٢٢/٣٣٤ · واذا تطاولت الجبال

(٨١) في الاغاني ٢٢/٣٣٤ قبائل اردفوا بقبائل

(٨٢) في الاغاني ٢٢/٣٤ لم تزل

(٨٣) في الاغاني ٢٢/٣٣٤ ·· من آل هوذة

(٨٤) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ ·· سلها للباطل

(٨٥) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ المفاخر للسان القائل

(٨٦) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ الذين لمثلهم

(٨٧) اخل كتاب الاغاني بهذا البيت

(٨٨) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ وضح القديم

(٨٩) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ ··· تسطوا

(٩٠) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ حول رحالهم كالقد بعد اجلة

٢٨- اولاد أعوج والصريح كأنها عقبان يوم دجنة ومخايل
٢٩- يلفظن بعد ازومهن على الشبا علق الشكيم بالسن وحجافل [٩١]
٣٠- قوم هم قتلوا ابن هند عنوة يستب مجلة وحق النازل [٩٢]
٣١- منهم ابو حنش وكان بكفه ري السنان وري صدر العامل
٣٢- ومهلهل الشعراء ان فخروا به وندى كليب عند فضل النائل
٣٣- حجب المنية دون واحد أمه من أن تبيت وصدرها بيلايل
٣٤- وكفى مجالسة السباب ولم يكن يستب مجلسه وحق النازل
٣٥- حتى يجير على الملوك فلم يرم حدبا ولا صعرا لراس مائل [٩٤]
٣٦- في كل حي للهذيل ورهطه نعم وأخذ كريمة وتناول
٣٧- بيض كرام ردهن لعنوة أسل القناد واخذت غير ارامل [٩٥]
٣٨- ابناؤهن من الهذيل ورهطه مثل الملوك وعشن غير عوامل

لما ضرب العديل دابغا بالسيف ركب راحلته وانشأ يقول [٩٦]

١ - ألم ترني جالدت بالسيف دابغا وان كان ثأرا لم يصبه غليلي
٢ - بوادي حنين ليلة البدر رعته بأبيض من ماء الحديد صقيل
٣ - وقلت لهم : هذا الطريق أمامكم ولم أك اذ صاروا لهم بدليل

وقال العديل [٩٧] .

١ - ألا من لهم أبى لم يرم ضميرك بات رفيقا لهم
٢ - أبيت اكابده موهنا ونام الخلي ولما أنم
٣ - رأيت الهموم تشين الفتى ولو كان ذا أمره أو عزم

---

(٩١) في الاغاني ٢٢/٣٣٥ يلقطن
(٩٢) في الاغاني ٢٢/٣٣٦ .. كفى مجالسة السباب فلم يكن
(٩٣) في الاغاني ٢٢/٣٣٦ .. حتى أجار على الملوك فلم يدع .. حربا
(٩٤) في الاغاني ٢٢/٣٣٦ .. بتناول
(٩٥) في الاغاني ٢٢/٣٣٦ .. بيض كرائم
(٩٦) الابيات في الاغاني ٢٢/٣٢٩
(٩٧) الابيات (١-٤٩) في منتهى الطلب الورقة ٧-٨

٤ ـ أرى الدهر يومن رذاله فيوما بئيسا ويوما نعم
٥ ـ رهين المنايا فان عفته وأخطأنه لم يدعه الهرم
٦ ـ كأن لم يعش قبلها ساعة اذا كانت النفس عند الكظم
٧ ـ وأيقن اصحابه بالقرا ق وأضحى ثوي ضريح الرجم
٨ فأن أك ودعت جهل الصبا ورث قوى حبله فأنحزم
٩ ـ تناسيته بعد أجداده ليخلق حتى وهي فانصرم
١٠ـ فقد أستبي البيض مثل الدمى عليهن خز فريد العجم
١١ـ سجدن لنا بلذيذ الحديث وهن لنا غير ذاكم حرم
١٢ـ أوانس من يلتمس سترها يجد ذاك حل محل العصم
١٣ـ بكل قطوف اناة القيا م رقود الضحى عبلة كالصنم
١٤ـ رداح التوالي اذا ادبرت هضيم الحشا شحتة الملتزم
١٥ ـ منعمة لم تلحمها السمو م يضيء سنا وجهها في الظلم
١٦ـ تغول حتى تروق الحليم وذا الجهل تورث خبل السقم
١٧ـ تكون أمانية ان نأت وان تدن منه يكن كالسدم
١٨ـ وتبسم عن واضح لونه شتيت كلون أقاحي الرهم
١٩ـ كأن الجمان على مغزل خذول لها رشأ قد قرم
٢٠ـ تظل تصفق من حوله وتحنو اليه اذا ما بغم
٢١ـ وقد أعمل العيس حتى تو ؤب حسيرا تجر نعال الخدم
٢٢ـ بدأت بها وهي ملمومة كناز البضيع وآاة زيم
٢٣ـ فما أبت حتى أرعوى جهلها وآضت لهيدا كعود السلم
٢٤ـ ركبت بها كل مجهولة قفار وهاجرة كالضرم
٢٥ـ يحار الدليل نهارا بها اذا ما التوى آلها بالعلم
٢٦ـ اذا ماتوقل حرباؤها على الجذل ثم نما واصطخم
٢٧ـ فأبقى على ذاك مني الزما ن كريم الاخاء ركوب البهم
٢٨ـ سبوقا لغايات يوم المدى اذا ما الجياد علكن اللجم
٢٩ـ فما المتجرد في عصره اذا ما ارتدى زبدا واستجم
٣٠ـ باجود مني لدى غاية ومد اليدين ونعت الكرم

٣١ـ أجيء اليها امام الجيا د اذا ما البطيء كبا أو قحم
٣٢ـ هني الغنان ولم أجتهد اذا رفعوا فوقهن الجذم
٣٣ـ منازل أنزلنيها ابي ومن يبتني مثلها لا يلم
٣٤ـ علي تعطف من وائل اذا قمت كل جواد خضم
٣٥ـ بهم يكسر العظم من غيرهم ويرأب منهم اذا ما انفصم
٣٦ـ نحل على الثغر عند الحروب فنتكى العدو ونحوي الغنم
٣٧ـ لنا سرة الارض قد تعلمون ونار الملوك وارض النعم
٣٨ـ نفينا القبائل عن حرها بارعن ذي غابة كالأجم
٣٩ـ كثير الدواعي بعيد المسير كمثل الظلام اذا ما ادلهم
٤٠ـ متى تتابع اخاديده تجده يسعر أعلى الأكم
٤١ـ وملك أقمنا له رأسه وان كان من قبلنا لم يقم
٤٢ـ عدلنا صراه بنشاحة تمج النجيع كشدق الأصم
٤٣ـ وجيش غزانا كثير الصهيل فلاقى الذي كان منا أجترم
٤٤ـ قرينا النسور صناديده ووكن البغاث وجون الرخم
٤٥ـ ونحن اذا سنة امحلت وآضت محولا كلون الادم
٤٦ـ وزف القريع أمام الافال وينسى التخيل عند القطم
٤٧ـ وردحت الشول في اثره وصف الاماء عليها الحزم
٤٨ـ وأمست تروح حطابها بنكباء عادية في شبم
٤٩ـ نقيم فنطعم لحم السنا م اذا ما الشتاء علينا أذم

وقال العديل ايضا يمدح محمد بن الحجاج (٩٨) :

١ ـ هل للظعائن قبل البين تكليم أم حبلهن غداة البين مصروم
٢ ـ ولين منا برهن لافكاك له وعبرة حشأت منها الحيازيم
٣ ـ من لوعة البين اذ راح القطين بهم ومضمر من دخيل الحب مكتوم
٤ ـ أعرضن لما رأين الشيب شامله والشيب عند كعاب الحذر مصروم
٥ ـ زرناك والعيش خوص في أزمتها هوج الرياح لحاديها هماهيم

(٩٨) الابيات (١ـ٣٣) في منتهى الطلب ٨ـ٩

٦ ـ من كل صهباء نستجري الزمام بها ... تبري لها سهوة الضبعين علكوم
٧ ـ تنفي الحصى عن أظليها بمشتبه ... من المفاوز يستعوي به البوم
٨ ـ كأن حاديها مما تكلفه ... اعضادها من سواد الليل مأموم
٩ ـ كلفته السير حتى في مفاصله ... دبو وحتى صميم العظم موصوم
١٠ـ والعيش جائلة الانساع يسعفها ... حامي الاجيج من الايام مسموم
١١ـ بمستوى من ردى الدوي ليس به ... للقوم الاسرى البيض المتاهيم
١٢ـ تعريج منزلة الا على عرض ... ثم الجذاب بسير فيه تقحيم
١٣ـ ينفضن تحت الحصى في كل منزلة ... ازرار معلقة فيها الخياشيم
١٤ـ بسابغات من الالحي كأن بها ... سبوت حضرم تثنيها الاباهيم
١٥ ـ ينوين فرج ثقيف في أرومتها ... اذا ثقيف سمت منها الخراشيم
١٦ـ ينوين ابيض مثل السيف أورثه ... ابو عقيل ثناء ليس مهدوم
١٧ـ بحر أجادت به غراء منجية ... من فرع سعد لها مجد وتكريم
١٨ـ كم من أب لك يستقى الغمام به ... جزل مواهبه بالخير موسوم
١٩ـ ونائل منك جزل لا تتبعه ... منا ولا فيه ان اعطيت تأثيم
٢٠ـ الواهب المائة الاشباه ضادية ... والجرد تتبعها البيض الرعاميم
٢١ـ والمشتري الحمد ان الحمد ذو مهل ... والتارك البخل ان البخل مذموم
٢٢ـ يغدو اذا ما غدا تندى انامله ... في باذخ قصرت عنه السلاليم
٢٣ ـ نعم المناخ أنخنا بعد شقتنا ... والوفد معطى فمحبو ومحروم
٢٤ـ لقد بسطت لساني بعد غصته ... وقد جبرت جناحي وهو مهضوم
٢٥ـ وقد اتيت الذي كانت تحدثني ... نفسي فاكتمه والسر مكتوم
٢٦ـ بحق من عد آباء تعدهم ... ان اللهاميم منهن اللهاميم
٢٧ـ اعطاك ذو العرش ما اعطى كرامته ... رب الرسول له سيما وتسويم
٢٨ـ ما مزبد من خليج البحر منجرد ... جون الاواذي تعلوه العلاجيم
٢٩ـ يوما ياجود منه حين تسأله ... اذا الصبا حاردت واعتلت الكوم
٣٠ـ ما زلت تركب مكروه الامور لها ... حتى زحت لك بالملك الخواتيم
٣١ـ انت الربيع الذي جادت مواطره ... وكل من لم يصبه الغيث محروم
٣٢ـ قيسوا المئين فاني قد بقيت لكم ... غمر الجراء اذا التفت الاضاميم

٣٣- مستعفى السوط خراجا على مهل في مبرك ثبتت فيه الجراثيم

كان العديل هجا جرثومة العنزى الجلانى فقال فيه (٩٩) .

١ - أهاجي بني جلان اذ لم يكن لها حديث ولا في الاولين قديم

وقال ايضا (١٠٠)

اوعدني بالسجن والاداهم رجلي فرجلي شثنة المناسم

وقال العديل ايضا (١٠١)

١ - لعمرك اني يوم بين ظعائن غدون ولم ينظرنني لحزين

٢ - ظعائن ينوين الكثيب وأهله غدون وقلبي عندهن رهين

٣ - كما حاجة من ام زيد تعوذي وقد غالني لو تعلمين شؤون

٤ - تقول بذلت الود منك لغيرنا وقطعت حبل الوصل وهو متين

٥ - أراك تخطانا اذا جئت زائرا وقد شهرتنا في هواك عيون

٦ - لججت بهجران البيوت كأنما عليك بهجران البيوت أمين

٧ - تراجعن بالأيدي السلام وكلنا بصاحبه يوم الفراق ضنين

٨ - كأن الخدور الجأت في ظلالها نعاج الملا ليست لهن قرون

٩ - قطعت حبال الوصل منهن بعدما تطاوحن حتى ما لهن قرين

١٠- من الانس الا مستفيد لقولنا ولا الجن الا قد ألم يدين

١١- وقد قيل حتى ما أبالي حديثه أقاويل مينت باطل وظنون

١٢ - أقاويل اقوام وقالة نسوة يقلن ولما يأتهن يقين

١٣- فأن الذي حدثت رقي حديثه عدو لحبل المسلمين لعين

١٤- مع الشانىء الغيران شيء كأنه من الوجد مبهوت الفؤاد طعين

١٥- يرائيك الا ان سألتك ماله ويمسى من الشنآن وهو يطين

---

(٩٩) البت في الاغاني ٢٢/٣٢٩

(١٠٠) قال البغدادى ٢/٣٦٧ ، وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدس ، قال ابن السيد لا اعلم قائله ، وقال ياقوت في حاشية الصحاح وتبعه العينى (٤/١٩٠) قائله العديل بن الفرج . والبيت من شواهد النحو المعروفة في موضوع البدل ذكرته كثير من كتب النحو واللغة . اكتفينا بهذه الاشارة .

(١٠١) الابيات (١-٢) في منتهى الطلب الورقة ١١-١٢

١٦- وليس بمعطيك المواخاة كلها اخ لك ما لم يرع حين تبين
١٧- بعينيك احداج لدومة اذ غدت لها نية تنيء الحبيب شطون
١٨- غدت من رجا الوادي كأن حمولها لعين البصير المستبين سفين
١٩- على كل نعاب يباري زمامه به من اغاني الحداة جنون
٢٠- اذا خضلت اعطافه غضبت له قوائم عوج تنتحي وتلين
٢١- ورأس كبرطيل الحديد يزينه مشافر مضبوح الجران ذقون
٢٢- وما كان ضر العامريات لويدا لنا يوم فلج أسؤق وعيون

لما جد الحجاج في طلب العديل ضاقت عليه الارض ، فأتى واسطا ، وتنكر، واخذ رقعة بيده ، ودخل الى الحجاج في اصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه انشأ يقول : (١٠٢)

١ ـ هأنذا ضاقت بي الارض كلها اليك وقد جولت كل مكان
٢ ـ فلو كنت في ثهلان او شعبتي أجا لخلتك الا ان تصد تراني

قال العديل : (١٠٣)

انا عدل الطعان لمن بغاني انا العدل المبين فاعرفوني

هجا العديل بن الفرخ في تم الله فقال : (١٠٤)

١ ـ تزحزح يا ابن تيم الله عنا فما بكر أبوك ولا تميم
٢ ـ لكل قبيلة بدر ونجم وتيم الله ليس لها نجوم
٣ ـ أناس ربة النحين منهم فعدوها اذا عد الصميم

قال ابن بري قال ابن حمزة الصحيح انها امرأة من هذيل ، وهي خولة ام بشرين عائذ ويحكى ان اسديا وهذليا افتخروا ورضيا بانسان يحكم بينهما فقال: ياأخا هذيل كيف تفاخرون العرب وفيكم خلال ثلاثة ، منكم دليل الحبشة على الكعبة ومنكم خولة ذات النحيين وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلل لكم الزنى قال : ويقوي قول الجوهري انها من تيم الله ما انشده في هجائهم ..

---

(١٠٢) البيتان في الاغاني ٢٢-٣٤١
(١٠٣) البيت في اللسان (انن)
(١٠٤) الابيان في اللسان (نحا)

قال ابو اسحق الزجاج في قوله تعالى : «والصابئين»[٢] معناه : الخارجين من دين الى دين .

يقال : صبأ فلان يصبأ اذا خرج من دينه ... وفي حديث بني جذيمة كانوا يقولون لما اسلموا : صبأنا .. صبأنا .

وكانت العرب تسمى النبي ـص ـ الصابيء لانه خرج من دين قريش الى الاسلام ، ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبوا[٣] ويسمون المسلمين الصباة[٤] .

وقال الفيومي[٥] : وصبأ من دين الى دين يصبأ خرج فهو صابيء ، ثم جعل هذا اللقب على طائفة من الكفار يقال انها تعبد الكواكب في الباطن ، وتنسب الى النصرانية في الظاهر ، وهم الصابئة والصابئون .

٢ ـ ويرى العالم اللغوى «جسنيوس» ان كلمة صابئي مشتقة من «صبأوث» العبرية ، بمعنى جند السماء ، دلالة على انهم يعبدون الكواكب[٦] .

٣ ـ ويرى آخرون ان اسم الصابئة مشق من كلمة « صبع » العبرية ، بمعنى غطس ، ثم اسقطت العين اشارة الى شعيرتهم الرئيسة وهي التعميد او الغطس في الماء الجارى[٧] .

٤ ـ والرأى الذى ترجح لدى كثير من الباحثين امثال : نولدكه ، والاب الكرملي ، والاستاذ اوليرى ، والليدى دراور ، والاستاذ العقاد ان كلمة «صابئي» مأخوذة من الفعل «صبا» الآرامي ومعناه : يرتمس ، يغتسل ، يتعمد[٨] .

ولعل الرأي الاخير أرجح الآراء واقربها من الصواب وذلك لما يأتي :ـ

١ ـ لمطابقة معنى الفعل «صبا» المندائي[٩] الآرامي لما عليه الصابئة حتى اليوم من الارتماس والاغتسال في الماء الجارى .

٢ ـ لورود هذه الكلمة بهذا المعنى في كثير من طقوسهم الدينية فهم يقولون في الآذان : « كل انش صابي ابمصبته شلمى» أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم ، كما يقولون في التعميد : « صبينا ابمصبته اد بهرام ربه » أى تعمدنا

بعماد ابراهيم الكبير ، وترد كلمة «المصبته» في غـــير ما ذكرنا كثـــيرا في طقوسهم[١٠] .

٣ ـ لاطلاق بعض المؤرخين والباحثين ـ قديما وحديثا ـ اسم المغتسلة عليهم ، وهو اسم يترجم عن حالهم وفي الوقت نفسه يطابق معنى الفعـل «صبا» الآرامي ، ويقترب من معنى الفعل «صبع» العبرى ويبعد عن معنى الفعل «صبأ» العربي و «صبأوث» العبرى .

قال ابن النديم : وكان بنواحي دست ميسان[١١] قوم يعرفون بالمغتسلة وبتلك النواحي والبطائح بقاياهم الى وقتنا هذا[١٢] .

وقال الاستاذ العقاد : سموا بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم وملازمتهم شواطىء الانهار من اجل ذلك ، ولكنهم هم يطلقون على ملتهم «مندائي»[١٣] .

واشتقاق اسمهم من السبح أرجح من نسبة الاسم الى «السباوث» العبرية بمعنى الجنود ـ جنود السماء ـ أى الكواكب التي اشتهروا بعبادتها[١٤] .

وقال أحد ابناء الصابئة المعاصرين[١٥] ان كلمة صابئي تعنى «المتعمـــد» لان التعميد شعار كل صابئى ، وبالتعميد يرتسم الصابئى بصابئيته ، وكلمـــة صابئي مشتقة من فعل «صبا» المندائي الآرامي ، ويعنى الفعل «تعمد» او «اصطبغ» .

والذى أود التنبيه عليه اخيرا ان تسمية هذه الطائفة بالصابئة انما جاءتهم من الاقوام المجاورة لهم اشارة الى اهم شعائرهم الدينية (الاغتسال او التعميـد بالمـــاء) .

وانهم ـ كما اشار الى ذلك الاستاذ العقاد في النص الذى نقلناه عنـــه ـ يسمون انفسهم «منداي»[١٦] .

ولكن لما نزل القرآن الكريم وسماهم «الصابئين»[١٧] وعـــدهم ضمن الديانات الكتابية ، وميزهم في المعاملة عن الوثنيين ، واعترف بهم المســـلمون كأصحاب دين .. عندئذ حرصت هذه الطائفة على تسميتهم بالصابئين او الصابئة المندائيين ، بل لقد سعت بعض الطوائف الوثنية ـ كما سيأتي في قصة المأمون مع اهل حران ـ لاطلاق اسم الصابئة على انفسهم حتى ينعموا بالسماحـــة التي

اظهرها القرآن الكريم لاهل الـــكتاب ، وحتى يتمتعوا بالحقوق التي منحها الاسلام للصابئة كأهل دين[١٨] .

وظل الحال هكذا الى ان وقعت العراق تحت الاحتلال فالانتداب البريطاني اثر هزيمة تركيا في الحرب العالمية الاولى وسقوط الخلافة العثمانية فكان يحلو لبعض الصابئة ان يسمي نفسه «مسيحي من اتباع يوحنا المعمدان» ولكن سـرعان ما اختفى هذا الاسم بتأسيس الحكم الوطني في العراق[١٩] .

٢ ـ حقيقة دين الصابئة :ـ

كما اختلف العلماء والباحثون في الفعل الذى اشتقت منه لفظة الصابئـــة او الصابئين ، وفي معناه .

فقد اختلفوا اختلافا اكثر في حقيقة دين الصابئة[٢٠] .

وبالنظر الى ان القرآن الكريم قد اشار الى هـذا الدين ، فقـد رأيت ان استعرض آراء المفسرين في دين الصابئين ، ثم اردفهـا ببيان آراء العلمـــاء والمؤرخين ، ثم اشير الى ما ترجح منها .

١ ـ الصابئة في القرآن الكريم :

اختلفت آراء المفسرين في تفسير كلمة «الصابئين» التي وردت في القرآن الكريم اختلافا كبيرا .

وقد أورد ابن كثير في تفسيره[٢١] جملة آراء من سبقه ومن عاصره من المفسرين ، وقد جاءت ـ باعتباره من المفسرين المتأخرين ـ[٢٢] كثيرة ومختلفة نوجزها فيما يلي :ـ

قال مجاهد : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ، ليس لهـــم دين .

وقال ابو العالية ، والربيع بن أنس ، والسدى ، وجابر بن زيد ، والضحاك واسحاق بن راهويه : الصابئون فرقة من اهل الكتاب يقرؤن الزبور[٢٣] ، ولهذا قال ابو حنيفة واسحاق لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم .

وروى عن الحسن البصرى انه قال فيهم : انهم كالمجوس ، وفي رواية اخرى عنه انه قال : هم قوم يعبدون الملائكة .

وقال ابو جعفر الرازى : بلغني ان الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقرؤن الزبور ، ويصلون للقبلة .

وأخبر ابن ابي الزناد ان اباه قال فيهم : هم قوم مما يلي العراق ، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوما ، ويصلون الى اليمن كل يوم خمس صلوات .

وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال : الذى يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا .

وقال عبدالرحمن بن زيد : الصابئون أهل دين من الاديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا اله الا الله وليس لهم عمل ، ولا كتاب ، ولا نبي الا قول لا اله الا الله .

قال : ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي - ص - واصحابه : هؤلاء الصابئون ، يشبهونهم بهم ، يعني في قوله : لا اله الا الله .

وقال الخليل : هم قوم يشبه دينهم دين النصارى ، الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون انهم على دين نوح -ع- .

وحكى القرطبي : انهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس ، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم .

وقال ايضا : والذى تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء : انهم موحدون ، ويعتقدون تأثير النجوم ، وانها فاعلة .

واختار الرازى ان الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى ان الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء ، او بمعنى ان الله فوض تدبير أمر هذا العالم اليها .

قال : وهذا القول هو المنسوب الى الكشرانيين الذين جاءهم ابراهيم -ع-

رادا عليهم ومبطلا لقولهم .

وبعد ان اورد ابن كثير هذه الآراء وغيرها رجح رأي مجـــاهد ومتابعيه ، ورأى وهب بن منبه وهو : «انهم قوم ليسوا على دين اليهود ، ولا النصـارى ، ولا المجوس ، ولا المشركين ، وانما هم قوم باقون على فطرتهم ، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه » .

قال : ولهذا كان المشركون ينبزون من اسلم بالصابىء ، أى انه قد خرج عن سائر اديان اهل الارض اذ ذاك .

وقال الطبرسي في تفسيره(٢٤) :

والصابئون جمع صابىء ، وهو من انتقل الى دين آخر ، وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سمي في اللغة صابئا .

قال ابو زيد : صبأ الرجل في دينه يصبأ صبوءا ، اذا كان صابئا وصبـأ ناب الصبي يصبأ صبئا اذا طلع ، وصبأت عليهم تصبأ صبئا اذا طلعت عليهم .. فكان معنى الصابىء التارك دينه الذى شرع له ، الى دين غيره ، كما ان الصابىء على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها ، والدين الذى فارقوه هو تركهـــم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها .

قال قتاده : هم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ، ومن دينهم عبادة النجوم ، وهم يقرون بالصانع ، وبالمعاد ، وببعض الانبياء ..

ثم أورد آراء كل من مجاهد ، والحسن ، والخليل ، وابن زيد ، التي سبق ذكرها من تفسير ابن كثير(٢٥) .

وقد تفرد سيد قطب في تفسيره(٢٦) برأي مخالف لكل الآراء السابقـة حيث قال : « والصابئون» : الارجح انهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبـل البعثة ، الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الاصنام فبحثـــوا لانفسهم عن عقيدة يرتضونها ، فاهتدوا الى التوحيد .

وقالوا : انهم يتعبدون على الحنيفية الاولى ، ملة ابراهيم ، واعتزلوا عبادة

قومهم دون ان تكون لهم دعوة فيهم .

فقال عنهم المشركون : انهم صبأوا - اى مالوا عن دين آبائهم - كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك . ومن ثم سموا الصابئة . وهذا القول ارجح من القول بانهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير .

تلك هي مجمل آراء المفسرين في التعريف بالصابئين ، وهي كما ترى متضاربة متناقضة ، لا يستطيع الباحث ان يخرج منها بفكرة واضحة عن حقيقة دين الصابئين الذين عناهم القرآن الكريم ، ولكن الذى يتأمل النص القرآني نفسه مع غض النظر عن آراء المفسرين ، يستطيع ان يستلهم منه ان الصابئة او فريقا منهم لم يكونوا مشركين .

تأمل في قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة : ان الله على كل شيء شهيد » .

تجد ان النص قد فرق بينهم وبين المشركين ، وهذا واضح من عطف «الذين اشركوا» على ما قبله ، وفيهم الصابئون ، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروف في اللغة ، كما انهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوسا للسبب نفسه ، وكذلك ليسوا هم تلك الطائفة من مشركي العرب التي ساورها الشك في عبادة الاصنام ، فبحثوا لانفسهم عن عقيدة يرتضونها ، فاهتدوا الى التوحيد ، لان اول من سن للعرب عبادة الاصنام هو عمر بن لحي سنة ٤٠٠ قبل الاسلام ٢٠٠م[٢٧] والصابئية كدين كانت معروفة قبل الميلاد بزمن طويل[٢٨] نعم هناك فئة من مشركي العرب زهدوا في عبادة الاصنام فتهود بعض ، وتنصر بعض آخر ، وبحث بعض لانفسهم عن عقيدة يرتضونها ، فاهتدوا الى التوحيد ، ملة ابراهيم ودعوة اسماعيل كورقة بن نوفل ، وزهير بن أبي سلمى ، وعبدالله القضاعي .. فالتقوا مع الصابئة الحنفاء[٢٩] وهذا لا يعني ان كل الفرق الدينية التي حملت اسم الصابئة ، او الصابئين هم حنفاء .

وتأمل ايضا في قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

تجد ان الله قد طمأن من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا من الصابئين .

وهذه اشارة واضحة الى ان الصابئة او فريقا منهم ليسوا كفرة وليسوا ملحدين ، وانما هم مؤمنون بالله واليوم الآخر .

فمن هم الصابئة الموحدون الذين عناهم القرآن الكريم ؟ وهل لهم وجود الآن ؟ وما سبب الاختلاف الكبير في اقوال المفسرين ؟ هذا ما سيتضح لنا من ثنايا هذا البحث والبحوث التالية التي ستنشر فيما بعد * .

آراء فقهاء الاسلام

في الصابئة

كما اختلف المفسرون في تفسير كلمة «الصابئين» وفي حقيقة دينهم ، كذلك اختلف الفقهاء في المركز التشريعي للصابئة نتيجة اختلافهم في حقيقة دينهم ، بعد ان فرق الاسلام في المعاملة بين الطوائف الدينية غير الاسلامية التي لها دين سماوى تدين به ، وكتاب منزل تعمل به كاليهود والنصارى ، وبين الطوائف التي ليس لها دين ولا كتاب كعبدة الاوثان ، والكواكب ، والدهرية[٣٠] .

فروى عن ابي حنيفة[٣١] انه عدهم من أهل الكتاب ، وقال ابو يوسف ومحمد[٣٢] : ليسوا من اهل الكتاب .

ووضح ابو الحسن الكرخي[٣٣] سبب اختلاف ابي حنيفة وصاحبيه بقوله : الصابئون الذين هم عند ابي حنيفة من اهل الكتاب انما هم قوم ينتحلون دين المسيح ، ويقرأون الانجيل . واما الصابئون الذين يعبدون الكواكب فانهم ليسوا بأهل كتاب عندهم جميعا .

وروى عن احمد بن حنبل[٣٤] انهم جنس من النصارى ، كما روى عنهم انهم من اليهود ، وقال ابن قدامة المقدسى[٣٥] : ينظر فيهم ، فأن كانوا

يوافقون أحد اهل الكتابين في نبيهم وكتابهم فهم منهم ، والا فليسوا من أهل الكتاب .

وروى عن الحسن البصرى[٣٦] انهم بمنزلة المجوس ، كما روى عنه انهم قوم يعبدون الملائكة . وروى عن الاوزاعي[٣٧] ومالك[٣٨] انهم قوم من المشركين بين اليهود والنصارى ليس لهم كتاب[٣٩] وروى عن جعفر الصادق[٤٠] انهم ليسوا من اهل الكتاب[٤١] .

آراء علماء الملل والنحل والمؤرخين

في الصابئة

ان الاختلاف الكبير الذى وجدناه عند المفسرين والفقهاء في حقيقة دين الصابئة او الصابئين ، نجده كذلك عند علماء الملل والنحل والمؤرخين .

فقد بين لنا الامام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ : ان « في الصابئية : قوم يقولون ان مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة . فهم عبدة الكواكب . ولما بعث الله ابراهيم -ع- كان الناس على دين الصابئة فاستدل ابراهيم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله : « لا احب الآفلين »[٤٢] .

ثم بين لنا الرازى كيف تطورت عقيدة الصابئة من عبادة الكواكب والنجوم مباشرة الى عبادة الهياكل التي اقاموها ، وكانوا يختلفون اليها للعبادة فترة غروب تلك الكواكب والنجوم فقال :

« واعلم ان عبادة الاصنام احدث من هذا الدين لانهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما ارادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من ان يصوروا الكواكب صورا ومثلا : فصنعوا اصناما واشتغلوا بعبادتها فظهرت من هنا عبادة الكواكب»[٤٣] .

في هذا النص نجد الرازى قد جعل عبدة الكواكب من الصابئة هم عبدة الاصنام ، في حين نجد الشيخ شمس الدين الدمشقي المتوفي سنة ٧٢٧هـ ، قد

جعلهم قسمين حيث قال :

ان الصابية قسمان : احدهما القائلون بالهياكل ، وهم عبـــدة الكواكب ، والآخرون القائلون بالاشخاص ، وهم عبدة الاصنام •

أما القائلون بالهياكل فانهم يزعمون انهم اخذوا ذلك عن عاذيمون ، وهو شيث النبي -ع- وعاذيمون اخذه عن اخنوخ ، وهو هرمس الهرامسة (ادريس النبي -ع-) •

واما الآخرون فيزعمون ان الاصنام صور ووحانيات الكواكب •

وفي الصابية من اعتقد وجوب «عبادة» الكواكب لدورانها وهم القائلون بالاكوار والادوار • وهؤلاء زعموا ان المعبود واحد وكثير • اما الواحـــد والوحدانية ففي الذات والازل ، واما الكثرة فلأنه يكثر بالاشخاص فـــي رأى العـين(٤٤) •

وقد بين لنا الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) كيف نشأت الصابئية ، والفـرق بينها وبين الحنيفية حيث قال :

وكانت الفرق في زمان ابراهيم الخليل -ع- راجعة الى صنفين : احدهما الصابئة ، والثاني : الحنفاء •

فالصابئة ، كانت تقول : انا نحتاج في معرفة الله - تعالى - ومعرفة طاعتـه واوامره واحكامه الى متوسط ، لكن ذلك المتوسط يجب ان يكون روحانيـــا لا جسمانيا ، وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها ، وقربها مـــن رب الارباب • والجسماني بشر مثلنا : يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في المادة والصورة • قالوا : « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون »(٤٥) •

والحنفاء ، كانت تقول : انا نحتاج في المعرفة والطاعة الى متوسط مـــن جنس البشر تكون درجته في الطهـــارة والعصمـــة والتأييـــد والحكمة فوق الروحانيات ، يماثلنا من حيث البشرية ، ويمايزنا من حيث الروحانية ، فيتلقى

الوحي بطرف الروحانية ، ويلقى الى نوع الانسان بطرف البشرية ، وذلك قوله تعالى : « قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد »[٤٦] وقال عز ذكره : « قل : سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا »[٤٧] .

اذن فقد كانت نشأة الصابئة في رأى الشهرستاني نشأة روحية خالصة ولم يكن هناك من فرق بينها وبين دين الحنفاء سوى ان الصابئة ينكرون نبوة أحد من البشر ، ويعتقدون بمتوسط روحاني للهداية والتعليم لان الله لا يخاطب أحدا من البشر في اعتقادهم فخلق الروحانيات اى الملائكة ، ثم تلبست هذه الروحانيات بالكواكب النورانية[٤٨] . واما الاحناف فيدركون معرفة الله ومعرفة طاعته عن طريق من ابتعثهم الله من عباده للاصلاح والهداية والبشارة والنذارة : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »[٤٩] ولكن الشهرستاني عاد ليبين ان الصابئة لم تستمر على هذا الاتجاه الروحي الذى كانت عليه في أول عهدها بل انحدر فريق منهم الى عبادة الكواكب وفريق الى عبادة الاصنام .

حيث قال : « ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة ، والتقرب اليها باعيانها ، والتلقي عنها بذواتها فزعت جماعة الى هياكلها ، وهي السيارات السبع ، وبعض الثوابت .

فصابئة النبط والفرس والروم . مفزعها السيارات . وصابئة الهند : مفزعها الثوابت .. وربما نزلوا عن الهياكل الى الاشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغني عنهم شيئا . والفرقة الاولى : هم عبدة الكواكب ، والثانية : هم عبدة الاصنام . وكان الخليل مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين ، وتقرير الحنيفية السمحة السهلة »[٥٠] .

اما العلامة ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) فقد عرف الصابئة ، وبين معتقدهم وصلتهم بالاحناف ، ثم ذكر اصنافهم وطوائفهم ، واشار الى معتقد كل طائفة حيث قال :

« ان الصابئة هم القائلون بالهياكل ، والارباب السماوية ، والاصنام الارضية ، وانكار النبوات ، وهم اصناف ، وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب

مهلكة ، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ، ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب واصنامهم التي عملت على تمثالها .

اما الحنفاء فهم القائلون بان الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ، ومنها ما وجودها بالفعل ، فما هو بالقوة يحتاج الى ما يوجد بالفعل . ويقرون بنبوة ابراهيم ، وانه منهم ، وهم طوائف منها : الكاظمية اصحاب كاظم بن تارح ،ومن قوله : ان الحق بين شريعة ادريس ، وشريعة نوح ، وشريعة ابراهيم .

ومنها البيدانية اصحاب بيدان الاصغر ، ومن قوله : اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح ، وان النبوة من الاسرار الالهية .

ومنها : القينانية اصحاب قينان بن أرفكشاد ، ويقر بنبوة نوح .

ومنها : اصحاب الهياكل ، ويرون الشمس اله كل اله .

والحرانية:ومن قولهم المعبود واحد بالذات،وكثير بالاشخاص في رأي العيان وهي المدبرات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة(٥١)

يتضح مما ذكره العلماء والمؤرخون ان اسم الصابئة او الصابئين ليس خاصا بطائفة معينة ، وانما هو اسم عام يندرج تحته عدة فرق لكل فرقة معتقدها الخاص بها .

وان بعضهم ذكر عقائد الصابئة باجمال ، وبعضهم قد تطرق الى ذكر اسماء تلك الفرق ، وبين ما لكل فرقة من معتقد ، وما تمتاز به من عبادة .

وحاصل ما ذكروه من عقائد فرق الصابئة : انهم جميعا يؤمنون بوجود اله خالق ، وانهم متفقون على وجوب ثلاث صلوات ، والاغتسال من الجنابة ، ومس الميت ، وعلى تحريم لحم الخنزير ، والجزور ، والحمام ، وما له مخلب من الطير ، والسكر والاختتان .

وأمروا بالتزويج بولي وشهود ، ونهوا عن الجمع بين امرأتين(٥٢) وعن الطلاق الا بحكم حاكم شرعي(٥٣) .

ولكنهم افترقوا فيما عدا ذلك :

ففريق منهم قد غالى في الاعتماد على الروحانيات «الملائكة» فاعتبروهم

وسطاء وشفعاء بينهم وبين الذات العلية ، وسمي هؤلاء «اصحاب الروحانيات» .

وفريق آخر قد غالوا في الاعتماد على هياكل الروحانيات ، فاعتبروها آلهة وارباب ، وجعلوا الله – تعالى – رب الارباب ، واعتقدوا ان التقرب الى الهياكل تقرب الى الروحانيات ، وان التقرب الى الروحانيات تقرب الى رب الارباب ، وسمي هؤلاء «اصحاب الهياكل» .

وفريق ثالث قد انحدروا الى عبادة الاصنام التي صوروها على صور الهياكل ، واتخذوها وسيلة الى الهياكل ، التي هي وسيلة الى الروحانيات ، التي هي بدورها وسيلة الى الله – تعالى – وسمي هؤلاء «اصحاب الاشخاص» .

وفريق رابع قد عبدوا الكواكب باعتبارها هي المدبرة للعالم السفلي واعتقدوا ان الله واحد في ذاته ، متكثر بالاشخاص في رأى العين لانه يظهر في الكواكب السبعة[٥٤] ، ويتشخص باشخاصها . وسمي هؤلاء « اصحاب الحلول » وعرفوا بالحرنانية[٥٥] .

فرق الصابئة :

اشرت الى ان اشهر فرق الصابئة اربعة وهي :

١ – اصحاب الروحانيات .
٢ – اصحاب الهياكل .
٣ – اصحاب الاشخاص .
٤ – اصحاب الحلول .

وسأقصر البحث بعد ذلك على الفرقة الاولى لانها اهم فرق الصابئة ، واقربها الى الصابئة الاقدمين ، ولعلها هي الاصل الذى تفرع عنه باقي فرقهم ، ولان من المرجح انها هي الفرقة المعاصرة «المندائيون» التي يعيش اصحابها اليوم في العراق وايران .

ويرى بعض الباحثين انها الفرقة المشار اليها في القرآن[٥٦] .

واما الفرق الاخرى فلم يعد لها وجود ، ولكن قبل قصر البحث على فرقة ا«المندائية» لابد من الحديث عن فرقة «الحرانية» لانها آخر الفرق الاخرى انقراضا[٥٧] وربما كان بينها وبين (المندائية) نوع تأثر وتأثير ، ثم لما احتلته

هذه الفرقة من أهمية بحكم مبادئها الدينية ، ولما خرج من بين اتباعها من علماء[٥٨] لهذا لابد من التعريف بهذه الفرقة حتى نستطيع الموازنة بين عقائدهم وعقائد المندائية ، ونتبين ما يخص كل فريق من معتقد لان كثيرا من الباحثين خلطوا بين عقائد الفرقتين ، ونسبوا لكل منهما ما تعتقده الاخرى ، وحتى نتبين مدى صدق «المندائية» في نفي عبادة الكواكب عن انفسهم ، ونسبتها الى «الحرانيين»[٥٩] .

الصابئة الحرانية (٦٠)

اشتهرت مدينة حران في تاريخها كله بانها مقر عبادة «سن» الاله القمر الذي زين معبده اكثر من ملك من ملوك الآشوريين ، ولم تتغير الاحوال في المدينة على اثر انتهاء سلطان الكلدانيين وقيام دولة الفرس وقد استقر في شمال الجزيرة منذ عهد الاسكندر عدد كبير من المقدونيين فعرفت هذه الناحية بأسم «مقدونيا» واطلق على الالهة التي تعبد في حران اسماء يونانية .. وعامل اباطرة الرومان الاولون اهل حران معاملة سمحة ، ولم تبذل الجهود للقضاء على دين أهلها الا بعد ان اصبحت النصرانية دين الدولة ، واعتبر آباء الكنيسة حران مدينة وثنية ، ولكن تلك الجهود لم تحقق اهدافها وبقيت حران على دينها حتى بعد ان دخلت في حكم الدولة الاسلامية ، الا ان اهلها اضطهدوا اضطهادا شديدا في ايام الرشيد ، وكانت سنة ٨٣٠م هي السنة التي خير المأمون فيها الحرانيين بين الاسلام أو اى دين من الاديان التي ورد ذكرها في القرآن ، وبين القتل عن آخرهم ، فزعموا انهم من الصابئة .

وقد روى ابن النديم المتوفي ٣٨٥هـ قصة المأمون مع الحرانيين ، وفيها كثير من الامور التي تكشف عن عاداتهم وتقاليدهم وحقيقة دينهم ، ووضح من خلالها انهم لم يكونوا في بدء امرهم صابئة حيث قال : ان المأمون اجتاز في آخر ايامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو ، فتلقاه الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرنانيين ، وكان زيهم اذ ذاك لبس الاقبية ، وشعورهم طويلة بوفرات فأنكر المأمون زيهم وقال لهم : من انتم من الذمة !؟

فقالوا : نحن الحرنانية !

فقال : انصارى انتم ؟

قـالوا : لا !

قال لهم : افلكم كتاب أم نبي ؟

فمجمجوا في القول .

فقال لهم : فانتم اذن الزنادقة ، عبدة الاوثان ، واصحاب الرأس في ايـام الرشيد والدى ، وانتم حلال دماؤكم ، لا ذمة لكم !

فقالوا : نحن نؤدى الجزية !

فقال لهم : انما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من اهل الاديان الدين دكرهم الله ـ عزوجل ـ في كتابه ولهم كتاب ، وصالحه المسلمـــون عن ذلك ، فأنتم ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء فاختاروا الآن احد امرين :

أما ان تنتحلوا دين الاسلام ، او دينا من الاديان التي ذكرها الله في كتابه، والا قتلتكم عن آخركم ، فاني قد انظرتكم الى ان ارجع من سفرتي هذه ، فـان دخلتم في الاسلام أو في دين من هذه الاديان التي ذكرها الله في كتابه ، والا امرت بقتلكم واستيصال شأفتكم .

ورحل المأمون يريد بلاد الروم فغيروا زيهم ، وحلقوا شعورهم ، وتركوا لبس الاقبية ، وتنصر كثير منهم ، ولبسوا زنانير ، واسلم منهم طائفة ، وبقي منهم شرذمة بحالهم .

وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من اهل حران فقيـــه فقال لهم :

قد وجدت لكم شيئا تنجون به ، وتسلمون من القتل .. اذا رجع المأمون من سفره فقولوا له : نحن الصابئون . فهذا اسم دين قد ذكره الله ـ جل اسمه ـ في القرآن فانتحلوه ، فانتم تنجون به .

وقضى أن المأمون توفي في سفرته تلك بالبذندون ، وانتحلوا هـذا الاسم منذ ذلك الوقت لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابه .

فلما اتصل بهم وفاة المأمون ، ارتد اكثر من كان تنصر منهم ، ورجع الى

الحرانية ، وطولوا شعورهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على انهم صابئون .. ومن اسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفا من ان يقتل فاقاموا متسترين بالاسلام .

ثم بين ابن النديم انه لا يزال في حران كثير من الاسر بعض اهلها حرنانيون وبعضهم مسلمون ، وبعضهم نصارى حيث قال :

وبحران منازل كثيرة .. بعض اهلها حرنانية ممن كان اقام على دينه في ايام المأمون ، وبعضهم مسلمون ، وبعضهم نصارى ، ممن كان دخل في الاسلام وتنصر في ذلك الوقت الى هذه الغاية مثل قوم يقال لهم بنو ابلوط ، وبنو فيطران وغيرهم مشهورين بحران[٦١] .

هذا ما قاله ابن النديم عن صابئة حران ، وقد نقل كلامه هذا كل من تأخر عنه من الباحثين ، واكتفى عدد كبير منهم به ولم يحاولوا ان يناقشوه ، ولم يفرقوا بين الصابئة الحقيقيين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وبين الحرانيين الذين انتحلوا اسم الصابئة انتحالا لينجوا من القتل ، وينعموا بالسماحة التي اظهرها القرآن لاهل الاديان الكتابية ، ويتمتعوا بالحقوق التي منحها الاسلام للصابئة كأهل دين .

وقد علق احد الباحثين المعاصرين[٦٢] على النص الذى اثبته ابن النديم بقوله : « والذى يظهر من اسئلة المأمون لهؤلاء القوم الذين صادفهم في سفره ، والذين لم يكن على علم بهم ، مع ما كان عليه من سعة العلم ، وواسع المعرفة ، والاطلاع على مختلف الاديان والنحل ، حيث كان يجتمع في مجلسه العلمي رؤساء المذاهب والاديان على اختلافها ـ انهم لم يكونوا في بدء الامر صابئة ، وليس لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن .

يدلنا على ذلك انهم فكروا في الامر مليا ، وانهم اضطروا الى ان يستشيروا فقهاء حران ، وعلماءها ، وشيوخها في الامر ، فلو انهم من فرق الصابئة لما اشكل هذا الامر عليهم ، ولما احتاجوا الى ان ينتحلوا هذا الاسم انتحالا .

وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨هـ (آب ٨٣٣م) فيكون الحرانيون قد انتحلوا

هذا الأسم من ذلك الوقت ، ولم يكن بحران قوم يسمون او يعرفون بالصابئة قبل هذا العام .

على اننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين ، وهم اقرب الى الصابئة الاقدمين من غيرهم ، انهم يعيشون على ضفاف الانهر : كدجلة والفرات وشط العرب وكارون ، وانه لا اثر لديانة الصابئة في حران ، ولا معبد مقدس لهم هناك ، وما شوهد من طقوسهم الدينية ، وطرز معيشتهم ، وعبادتهم وانتسابهم الى الارض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها .

كل ذلك يدلنا على ان «الحرانية» دين قديم اراد اصحابه الابقاء عليه فانتحلوا له اسم «الصابئة» انتحالا .

عقائد الحرانية :

كل من كتب في الملل والنحل وتاريخ الاديان قرر ان الحرانية فرقة وثنية[٦٣] وانهم كانوا يقولون : ان صانع هذا العالم ومصوره ومدبره ونافعه وضاره هي الكواكب السبعة[٦٤] .

ولم يفت المؤرخون ذكر اسماء واشكال هياكلهم ، واوثانهم ، ولون حليها والمادة التي صنعت منها ، وطبيعة الاضاحي التي تختلف باختلاف السيارات[٦٥] .

وقد بين لنا الشهرستاني عقائد الصابئة الحرانية في الصانع ـ تعالى ـ وصنعه وابداعه ، وحلوله او تشخصه ، والتناسخ او القيامة ، والثواب والعقاب[٦٦] .

آ ـ عقيدتهم في الصانع :

قالوا : ان الصانع المعبود واحد وكثير .

اما واحد ففي الذات ، والاول ، والاصل ، والازل .

واما كثير فلانه يتكثر بالاشخاص في رأى العين ، وهي المدبرات السبعة ، والاشخاص الارضية الخيرة ، العالمة ، الفاضلة ، فانه يظهر بها ويتشخص باشخاصها ، ولا تبطل وحدته في ذاته .

ب ـ عقيدتهم في كيفية حلول الصانع أو تشخصه :

وربما يكون ذلك بحلول ذاته ، وربما يكون بحلول جزء من ذاته ، على قدر استعداد مزاج الشخص ، وربما قالوا : انما تشخص بالهياكل السماوية كلها وهو واحد ، وانما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه ، وتشخصه بـــه .

فكأن الهياكل السبعة اعضاؤه السبعة . وكـــأن اعضاءنا السبعه هياكله السبعة فيها يظهر فينطق بلسـننا ، ويجيء ويذهب بأرجلنا ، ويفعل بجوارحنا .

جـ ـ عقيدتهم في صنعه وابداعه :

« قالوا : هو ابدع الفلك وجميع ما فيه من الاجرام والكواكب ، وجعلها مدبرات هذا العالم ، وهم الآباء ، والعناصر أمهات ، والمركبات مواليد ، والآباء احياء ناطقون ، يؤدون الآثار الى العناصر . فتقبلها العناصر في ارحامها ، فيحصل من ذلك المواليد . ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوهـــا دون كدرها . ويحصل له مزاج كامل الاستعداد ، فيتشخص الاله به في العالم .

وزعموا ان الله ـ تعالى ـ اجل من ان يخلق الشرور والقبائح والاقـذار والخنافس والحيات والعقارب . بل هي كلها واقعة ضرورة عن اتصـــالات الكواكب سعادة ونحوسة ، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة .

فما كان من سعد وخير وصفو ، فهو المقصود مـــن الفطرة ، فينسب الى البرى تعالى .

وما كان من نحوسة ، وشر وكدر ، فهو الواقـع ضرورة فلا ينسب اليه، بل هي اما اتفاقيات وضرورات ، واما مستندة الى اصل الشرور والاتصـــال المذموم .

د ـ عقيدتهم في التناسخ او القيامة :

قالوا : «ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل اقليم من الاقاليم المسكونة عـلى رأس كل ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة : زوجين من كل نوع من اجناس الحيوانات ذكرا وانثى ، من الانسان وغـيره فيبقى ذلك

النوع تلك المدة ، ثم اذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الانواع : نسلها وتوالدها، فيبتدىء دور آخر ، ويحدث قرن آخر من الانسان والحيـــوان ، والنبت ، وكذلك ابد الدهر .

قالوا : وهذه هي القيامة الموعودة على لسان الانبيـــاء -ع- والا فلا دار سوى هذه الدار : « وما يهلكنا الا الدهر »[٦٧] .

ولا يتصور احياء الموتى ، وبعث من في القبور : « ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظما انكم مخرجون !؟ هيهات هيهات لما توعدون »[٦٨] وهـــم الذين اخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة .

قالوا : والثواب والعقاب في هذه الدار ، لا في دار اخرى ، لا عمل فيهـا والاعمال التي نحن فيها انما هي أجزية على اعمـــال سلفت منـــ في الادوار الماضية . فالراحة والسرور ، والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على اعمال البر التي سلفت منا في الادوار الماضية .

والغم والحزن ، والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة عـــلى اعمال الفجور التي سبقت منا ، وكذا كان في الاول ، وكذا يكون في الآخر .

و - عقيدتهم في النبوة :

والحرانيون ينكرون نبوة احد من البشر ، ولكنهم اذا ما سئلوا من اين جاءوا بعقائدهم تلك !؟ ادعوا اخذها عن أربعة انبياء : عاذيمون «شيت» «هرمس» «ادريس» واغانا واذاى .

قالت السيدة سنية قراعة :

اما الصابئة من عبدة الكواكب والاصنام فعندهم دعـــاهم ابراهيم الى دين الحنيفية ، اتخذوا من دراسة ادريس للكواكب ومعرفته لبروجها وتنقلاتهـــا ، ومدلول هذه التنقلات ، وارتباطه باحوال الجو ، وما يتبعها ، واتباعهم لهـــذه الدراسة اتباعا بلغ حد التقديس ثم العبادة ، عذرا ينتحلونه مدعين في ذلك انهم يتبعون تعليم ادريس النبي .. وقامت مجادلات بين الحنيفية والصابئة ، ظهر منها كذب ادعائهم على ادريس[٦٩] .

هوامش البحـــث ومصادره

اولا : الهوامشـــ

(١) لسان العرب مادة «صبأ» ٠

(٢) البقرة /٦٢ والحج/١٧ ٠

(٣) بابدال الهمزة واوا لان العرب كانوا لا يلفظون الهمزة ٠

(٤) بغير همز كانه جمع الصابى كقاض وقضاة ، وغاز وغزاة ٠

(٥) المصباح المنير مادة «صبأ» ٠

(٦) من مقالة للقس صموئيل زويمر فى مجلة المقتطف جـ ٢٣ص٨٧ لسنة ١٨٩٩ نقلا عن كتاب «الصابئون» لعبدالرزاق الحسنى ص٢١ ٠

(٧) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٤ ص٨٨ مادة «الصابى» ٠

(٨) انظر الصابئون ص ٢١ للحسنى والصابئة المندائيون جـ ١ ص ٩٥٨ الليدى درواز ، ترجمة نعيم بدوى وغضبان رومى ، وابو الانبياء للعقاد ص ١١٢ ٠

(٩) يتكلم الصابئة الحاليون اللغة المندائية وهي لغة سامية من السريانيـــة ولكن حروفها غير الحروف السريانية ، ونحوها وصرفها مستقلان ، وكانت مشهورة في قديم الزمان ، ولا يوجد بين افراد الصابئة اليوم مـــن يتقن كتابة هذه اللغة الا نفر قليل لان رجال دينهم يحرصون على عدم ايقـــاف ابناء الطائفة على اسرار الديانة حتى لا يفلت الامر من ايديهم ، امـــا لغة المعاملات والمخاطبة مع الناس فهي اللغة العربية ٠

(١٠) انظر الصابئة المندائيون ص٨ ٠

(١١) ميسان او العمارة احدى محافظات العراق الجنوبية ، ولا تزال تلك المحافظة موطن سكنى الصابئة الرئيسة حتى يومنا هذا ٠

(١٢) الفهرست ص٤٧٧ ٠

(١٣) تعني كلمة مندايي باللغة الآرامية «العارف» من الفعل «مدعا» اى عرف او علم (تاريخ الادب السرياني للدكتور مراد كامل) نقلا عن الصابئـــة المندائيون ص ٨ ٠

(١٤) ابو الانبياء ص ١١٢ ٠

(١٥) غضبان رومى / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص١٤ ٠

(١٦) وقالت الليدى دراور في كتابها الصابئة المندائيـــون جـ١ ص٣٩ : « ان التسمية الاكثر رسمية لجنسهم ودينهم والتي يستعملونها فيما بينهم هي «مندائي» او المندائيون ، وقال مترجما الكتاب في مقدمته وهما من ابنـــاء

الصابئة : «اسم» الصابئين كأسم لهذه الطائفة غير معروف عندهم دينيا فهم يعرفون انفسهم باسم «مندايي» ·

(١٧) ورد ذكر الصابئين فى ثلاث آيات من القرآن الكريم وهى :ـ

١ ـ « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم والآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة/٦٢ ·

٢ ـ « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » المائدة/٦٩ ·

٣ ـ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » الحج/١٧ ·

(١٨) انظر مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص٨ وهى لاثنين من ابناء الصابئة ·

(١٩) انظر الصابئة المندائيون ص٤١ ·

(٢٠) ترجع كثرة الاختلافات حول حقيقة دين الصابئة الى عدة اسباب اهمها :ـ

١ ـ ان رجال الدين الصابئي لا يقرون علنية الدين لان ذلك يتعارض وباطنيته وحتى يبقى تفسيره وقفا عليهم ·

٢ ـ قلة من يعرف لغة كتبهم الدينية لانها مكتوبة باللغة المندائية ، وهي احدى فروع اللغة الآرامية ، قريبة من السريانية ·

٣ ـ انطواء الصابئة على انفسهم ، وعدم مخالطتهم لغيرهم ·

٤ ـ كون ديانتهم ليست ديانة تبشيرية ·

(٢١) تفسير القرآن العظيم ، انظر جـ١ ص١٠٤ ·

(٢٢) ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ ·

(٢٣) المزامير : عدة ابواب من التوراة ، ينسب ٧٣ منها الى داود ـعـ ولذلك عرفت بمزامير داود ، وقد وردت فى القرآن الكريم بلفظ الزبور قال تعالى : « وآتينا داود زبورا » النساء/١٦٣ ·

(٢٤) مجمع البيان في تفسير القرآن جـ١ ص١٢٦ ·

(٢٥) انظر المصدر السابق وتفسير ابن كثير جـ١ ص١٠٤ ·

(٢٦) في ظلال القرآن جـ١ ص٩٤ ·

(٢٧) انظر كتاب الاصنام لابن الكلبي ص٦،٨ تحقيق احمد زكى ، والدين

المقارن لابى الفيض المنوفى ص ١٤٦ ·

(٢٨) سياتي بيان ذلك عند الحديث عن اصل الصابئة ·

(٢٩) الحنفاء جمع حنيف وهو المؤمن باله واحد ، والحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام « وقالوا : كونوا هودا او نصارى تهتدوا ، قل : بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » البقرة/١٣٥ ·

* سينشر لى فى العدد القادم من مجلة المورد بحث بعنوان « اصحاب الروحانيات او الصابئة المندائيون» وبحث آخر بعنوان «الصابئون » فى العدد القادم من مجلة الرابطة الادبية التى تصدر فى النجف ، وبحث ثالث بعنوان «الصابئون فى القرآن الكريم» فى مجلة البيان التى تصدر فى الكويت ·

(٣٠) الدهرية او الدهريون هم الذين ينكرون وجود الله ، وينكرون الخلق ، ويردون كل ما يحدث في العالم الى فعل القوانين الطبيعية ، وقد عبر القرآن الكريم عن فلسفتهم بقوله ـ تعالى ـ : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » الجاثية/٢٤ ·

(٣١) هو النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب الحنفي (٨٠ـ١٥٠هـ) ·

(٣٢) ابو يوسف ومحمد صاحبا ابي حنيفة ، وابو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم الانصارى (١١٣ـ١٢٨هـ) كان من اصحاب الحديث ، ثم غلب عليه الرأى ، أخذ الفقه عن ابن ابي ليلى ثم عن ابي حنيفة ، أما محمد فهو محمد بن الحسن الشيباني (١٢٩ـ١٨٧هـ) ·

(٣٣) ابو الحسن الكرخي هو عبيدالله بن الحسين بن دلال بن دلهم احد فقهاء الاحناف ·

(٣٤) احمد بن حنبل (١٦٤ـ٢٤١هـ) صاحب المذهب الحنبلي ومن ائمة الحديث ·

(٣٥) هو عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ) ·

(٣٦) هو الحسن بن يسار من فقهاء التابعين وشيخ اهل البصرة توفى سنة ١١٠هـ

(٣٧) الاوزاعي هو ابو عمرو عبدالرحمن بن عمرو الشامي (٨٨ـ١٥٧ هـ) كان امام أهل الشام في عصره ·

(٣٨) هو مالك بن انس صاحب المذهب المالكي (٩٣ـ١٧٩هـ) ·

(٣٩) انظر احكام القرآن للجصاص جـ٢ ص٣٢٨ وجـ٣ ص٩١ واحكام الذميين والمستأمنين ص١٣ للدكتور عبدالكريم زيدان ·

(٤٠) جعفر الصادق ابن محمد الباقر صاحب المذهب الجعفرى (٨٣ـ١٤٨هـ) من ائمة آل بيت الرسول ـص ·

(٤١) انظر مجمع البيان للطبرسي جـ١ ص١٢٦ ·

(٤٢) الانعـــام/٧٦ ٠

(٤٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٠ مراجعة وتحرير ، علي ســـامي النشار نقلا عن محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص٤٦ للدكتور يحيى هويدى

(٤٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص٤٠ نقلا عن كتاب الصابئون ص١٢ للحسني ٠

(٤٥) المؤمنون / ٣٤ ٠

(٤٦) الكهف / ١١٠ ٠

(٤٧) الاشراء / ٩٣ ٠

(٤٨) انظر ابو الانبياء ص١١٠ ٠

(٤٩) النساء /١٦٥ ٠

(٥٠) الملل والنحل جـ٢ ص٣٥،٣٦ ٠

(٥١) نقلا عن كتاب الصابئون ص١٣ للحسني ٠

(٥٢) يبدو ان النهي عن الجمع بين امرأتين فاكثر في آن واحد عند الصابئـة ليس للتحريم وانما للكراهة فقط ، لان كثيرا من المعاصرين ومن رجـــال الدين بالذات يجمعون بين اكثر من امرأة ، بل لقد لاحظت الليدى دراور التي قامت بدراسة ميدانية لصابئة العراق وايران المعاصرين ان اكثـــر علمائهم كانوا متزوجين باثنتين فاكثر في الوقت نفسه ، انظر الصابئـــة المندائيون جـ١ ص١١٧ ٠

(٥٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ٢ ص١٦٥ والصابئون للحسني ص٢٧ وعلم الاجتماع الديني للخشاب ص٢٩٨ ٠

(٥٤) وهي الطوالع : الشمس والقمر والمريخ والمشترى وزحل وعطارد والزهرة٠

(٥٥) نسبة الى مدينة «حران» على غير قياس ، والقياس «الحرانية» وســـيأتي التعريف بحران واهلها ٠

(٥٦) انظر نعيم بدوى وغضبان رومى فى مقدمتها لكتاب الصابئـــــة المندائيون ص١٢ ودائرة المعارف الاسلامية جـ١٤ ص٨٩ ٠

(٥٧) خربت مدينة حران عام ١٠٨٢ م حيث لم يبق منها غير الهيكل العظيم للاله القمر ، وزارها ابن جبير عام ١١٨٣م ووجد ابو الفداء عام ١٣٣٢م فـــي محلها قرية مهدمة ٠ انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ٧ ص٣٥٥ وجـ١٤ ص ٩١ ٠

(٥٨) من هؤلاء العلماء : هلال بن ابراهيم بن زهرون وكان طبيبا ماهرا فـــي خدمة الامير توزون توفي عام ٣٢٤ هـ وثابت بن ابراهيم بن زهرون (٢٨٣ ـ٣٦٥هـ) وكان طبيبا ايضا وابو اسحاق ابراهيم بن هـــلال بن زهرون

(٣١٣ـ٣٨٤هـ) كان ماهرا كشأن افراد اسرته في الطب والفلك والرياضيات والمحسن بن ابراهيم «ابو علي» وهو الذى نقل الينا كتب سنان بن ثابت بن قرة · وهلال بن المحسن (٣٥٩ـ٤٤٨هـ) وهو حفيد ابراهيم بن هلال ، وامه اخت الطبيب والمؤرخ ثابت بن سنان بن قرة ، وكان هلال أول من خرج من افراد اسرته عن دينه القديم ودخل في الاسلام ٣٩٩هـ ، وثابت بن قرة بن زهرون (٨٣٦ـ٩٠١م) وكان عالما بالرياضة والطبيعة والفلسفة ، وكان لثابت مقام رفيع في بلاط المعتضد انتفع به الصابئة في حران وغيرها من البلدان · انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ١٤ ص٩١ ·

(٥٩) انظر مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص١٧ حيث جاء فيها : ان الكثيرين من الحرانيين الصابئين ، والصابئين الحقيقيين قد عملوا في مقر الخلافة العباسية كمترجمين واطباء وفلكيين ، فليس بغريب والحالة هذه ان يخلط المؤرخون العرب المسلمون حين يتحدثون عن دين الصابئين ، بين صابئة حران وغيرها من البلدان · انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٤ ص ٩١·

(٦٠) حران : مدينة قديمة لا تزال معروفة باسمها القديم ، وموقعها في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ ، احد روافد الفرات العليا ، تقع على بعد ٤٠كم الى الجنوب الشرقي من اورفه ، وزهاء ٨٠كم من مصب البليخ في نهر الفرات ، كانت مركزا هاما على الطرق التجارية الرئيسة بين العراق وسوريا وفلسطين ، وقد اشتهرت فى كونها مركزا لعبادة الاله القمر «الاله سن» وهي المدينة التي توجه اليها ابراهيم الخليل ـعـ بعد خروجه من أور الكلدانيين وذهب منها الى كنعان ، فتحها عياض بن غانم سنة ٦٣٩م في خلافة عمر بن الخطاب ، وكانت وقتئذ قصبة ديار مضر ، وكانت المقام المختار لمروان آخر الخلفاء الامويين (٧٤٤ـ٧٥٠م) وقد وصف المقدسى حران حوالي القرن العاشر بانها مدينة جميلة تحميها قلعة مبنية من الحجر المنحوت ، وكانت تعرف بسلطان صلاح الدين عندما زارها ابن جبير عام ١١٨٤م كما كان اهلها مشهورين باكرام الغريب ، وما ان حل عهد ابي الفداء (المتوفي ١٣٣٢م) حتى كانت المدينة قد ذهب ريحها ، وتشير الى موقعها اليوم قرية مبنية من اكواخ ، واطلال مباني قديمة كانت مشيدة من البازلت ، انظر كتاب العرب واليهود للدكتور احمد سوسه ص ٤٦٦ ودائرة المعارف الاسلامية جـ٧ ص٣٥٥ وجـ١٤ ص٩٠ ·

(٦١) الفهرست ص٣٢٠ ·

(٦٢) السيد عبدالرزاق الحسني/الصابئون ص٣١/٣٢ ·

(٦٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ٧ ص ٣٥٤،٣٥٥ ومقدمة الصابئة المندائيون ص١٣ ٠

(٦٤) انظر التمهيد للباقلانى ص٤٨ ، واعتقادات فرق المسلمـــــين والمشركين للرازى ص٩٠ ٠

(٦٥) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ٤ ص٩٠ والملل والنحل للشهرستاني وقد ذكر في جـ٢ ص١١٥ عددا من اسماء واشكال هياكلهم حيث قال :
واما الهياكل التي بناها الصابئة على اسماء الجواهر العقلية الروحانية ، واشكال الكواكب السماوية ٠

فمنها : هيكل العلة الاولى ، ودونها هيكل العقل ، وهيكل السياسة ، وهيكل الصورة ، وهيكل النفس ، وكانت مدورات الشكل ٠

وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشترى مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع ، وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل ، وهيكل القمر مثمن ٠

(٦٦) الملل والنحل جـ٢ ص١١٢ـ١١٥ ٠

(٦٧) الجاثية/٢٤ ٠

(٦٨) المؤمنون/٣٥،٣٦

(٦٩) الرسالات الكبرى ص٣٣ ٠

مرتبة حسب الرجوع اليها

ثانيـــا : المصـــادر

(١) القرآن الـــكريم ٠

(٢) لسان العرب / الفيروز ابادى / مادة «صبأ» ٠

(٣) المصباح المنير / الفيومي / مادة «صبأ» ٠

(٤) الصابئون / السيد عبدالرزاق الحسني / الطبعة الرابعة ٠

(٥) دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون طبعه سنة ١٩٣٣ ٠

(٦) الصابئة المندائيون / الليدى دراور / ترجمة نعيم بدوى وغضبان رومي / مطبعة الازهر : بغداد ١٩٦٩م ٠

(٧) الفهرست / ابن النديم / نسخة مصورة عن طبعة لايبزك ١٨٧٢م/نشر مكتبة خياط بيروت ١٩٦٤م ٠

(٨) ابو الانبياء /العقاد/كتاب اليوم ١٩٥٣م ٠

(٩) تعاليم دينية لابناء الصابئة / غضبان رومي / مطبعة دار الجاحظ بغـداد سنة ١٩٧٢ ٠

(١٠) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / دار احياء التراث العربي / بيروت ٠

(١١) مجمع البيان فى تفسير القرآن / الطبرسى / دار احياء التراث العـــربى / بيروت ٠

(١٢) في ظلال القرآن / سيد قطب/ دار احياء التراث العربي / بيروت عام١٩٦٧م

(١٣) كتاب الاصنام / ابن الكلبي / تحقيق الاستاذ احمد زكى / نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٤م ٠

(١٤) الدين المقارن / محمود ابو الفيض المنوفي الحسيني/ القاهرة ٠

(١٥) الملل والنحل / الشهرستاني / تحقيق الاستاذ عبدالعزيز الوكيـــل / مؤسسة الحلبي / القاهرة ٠

(١٦) علم الاجتماع الديني / د٠ احمد الخشاب / مكتبة القاهرة الحديثة ٠

(١٧) محاضرات في الفلسفة الاسلامية / يحيى هويدى / الطبعة الاولى ١٩٦٦م ٠

(١٨) الرسالات الكبرى / سنية قراعة / دار مطابع الشعب / القاهرة ٠